
الفوائد الكامنة
فى
إيمان السيدة آمنة
و
التعظيم والمنة فى أن أبوى المصطفى ﷺ فى الجنة
الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى
(٨٤٩ - ٩١١ هـ)
حققه وهذبه وعلق عليه
مصطفى عاشور
مكتبة القرآن

الفوائد الكامنة

في

إيمان السيدة آمنة

و

التعظيم والمنة في أن أبوي المصطفى ﷺ في الجنة

الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي

(٨٤٩ - ٩١١ هـ)

حققه وهذبه وعلق عليه

مصطفى عاشور



الفوائد الكامنة

فى

إيمان السيدة آمنة

جاء فى سجل مؤلفات الجلال السيوطى تحت رقم ٥٠٠ ما يأتى «الفوائد الكامنة فى إيمان السيدة آمنة»

ويسمىّ «التعظيم والمنِة فى أن والدى المصطفى فى الجنة»

- نسبه لنفسه فى حسن المحاضرة .
- وعزاه إليه خليفة فى كشف الظنون .
- والبغدادى فى هدية العارفين .
- يوجد مخطوطاً بالتيمورية وبالإسكوريال .
- صدرت له طبعة بحيدر اباد عام ١٣١٧ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله ، فتح أعيننا وأرانا النور ، وآذاننا وأسمعنا الحكمة ، وصدق الله عز وجل إذ يقول :

﴿ يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ الأحزاب : ٤٥ ـــ ٤٦ .

فلا عجب إذا حمل كل مسلم له فى قلبه مشاعر الحب الصادق ، وفاء وتقديرا لمن أخذ بأيدينا من الظلمات إلى النور ، بل إن إيماننا لا يكمل ولا يتم حتى يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما ..

ففى الصحيحين عن أنس ـــ رضى الله عنه ـــ أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[1]

ولهما عنه رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :
أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما .
وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله .
وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يُلقى فى النار »[2]

وليس فينا نحن المسلمين من لا يحب النبى ﷺ ولا يحمل له بين جنبيه أسمى

---

(١) أخرجه البخارى كتاب الإيمان : باب حب الرسول ﷺ من الإيمان. ومسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٧٠

(٢) أخرجه البخارى كتاب الإيمان : باب حلاوة الإيمان . ومسلم كتاب الإيمان : باب من اتصف بحلاوة الإيمان .

المشاعر ، فنحن نصلى عليه فى صلاتنا لله ، وندعو له بالوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذى لا يكون لغيره ﷺ عقب الأذان .

ومالنا لا نصلى عليه وندعو له وقد بلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، فترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ويدفعنا هذا الحب للنبى وآله إلى التساؤل عن مصير أبويه وقد ماتا قبل بعثته وبود كل منا لو يفتديهما بنفسه وأبيه وأمه ، ولسنا بدعا فى هذا التساؤل فقد سبقنا إليه علماء الأمة على مر العصور .

إن حبنا للنبى ﷺ يدفعنا إلى حب الخيِّرة الطاهرة التى حملته .. وحب الطاهر الخيِّر الذى أنجبه .. ونتساءل عن مصيرهما لعل الله سبحانه وتعالى يمن عليهما بفضل نبيه كما منَّ علينا نحن الذين اتبعناه وآمنا به لتقر عينه يوم اللقاء .

ويضع الإمام السيوطى ــ رحمه الله ــ النقط فوق الحروف وهو المحدث المفسر والحافظ المفتى ..

ومع الإمام السيوطى تزول حيرتنا ، وتطمئن نفوسنا وأعود فأقول إنها أمنية نبيلة تدفعها مشاعر طيبة يسعدنا أن تتحقق :

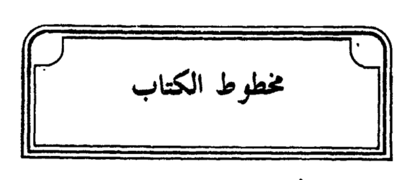
مُنًى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى   وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

ونجد فى « الفوائد الكامنة فى إيمان آمنة » وفى « التعظيم والمنة فى أن أبوى النبى فى الجنة » ما ينعش قلوبنا ، ويدخل الطمأنينة إلى نفوسنا والله حسبنا وملاذنا ،

الأحد ٥ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨ هـ
٢٤ من يناير ١٩٨٨ م .

مصطفى عاشور





مخطوط الكتاب

بدار الكتب المصرية مصور عن النسخة الأصلية المحفوظة بمكتبة « رواق الشوام » .
وهو من مجموعة رسائل للسيوطى مصورة على ميكروفيلم رقم ٧٤٥ ، ويقع فى ٧٦ صفحة



جلال الدين السيوطى

هو عبد الرحمن جلال الدين ابن الإمام كمال الدين الخضيرى السيوطى العالم المحدّث المفسر ، المتفنن الجامع المختصر ، صاحب التصانيف المشهورة ، ورسائل العلم المأثورة .

ولد سنة ٨٤٩ ونشأ يتيما ، وحفظ القرآن وعمره دون الثمان ، ثم حفظ متون الفقه والنحو ، وأخذ العلم عن مشايخ وقته .

وابتدأ فى التصنيف وسنه سبع عشرة سنة ثم لازم الأشياخ وطلب العلم فى بقاع الأرض فدخل الشام والحجاز ، واليمن والهند والمغرب ، والتكرور (النيجر) ، ونبغ فى كثير من العلوم ، ورزق التبحر فى التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع .

وتولى التدريس والإفتاء ، ولم يكن أشهر منه فى زمنه .

ويعد السيوطى من الأئمة الذين حفظوا العلم للخلف ، وسهلوا سبله للمتأخرين .

وقد ترك لمن يأتى بعده أكثر من ثلثمائة مصنف ، ولو لم يكن له إلا الإتقان فى علوم القرآن ، والمزهر فى أصول اللغة ، والأشباه والنظائر فى دقائق النحو وأصوله ، والهَمْع على الجمع فى فروع النحو وأصوله والصرف ، وجمع الجوامع المَعروف بالجامع الكبير لكفاه فخرا وتوفى سنة ٩١١ هجرية ، ودفن بالمقبرة المنسوبة إليه شرق القاهرة الجنوبى .

السيوطى مفتيا :

تصدر للتدريس والإفتاء ابتداء من سنة ست وسبعين وثمانمائة . وقد أجيز بذلك فى تلك السنة وكانت سنه نحو السابعة والعشرين ، وتعتبر هذه بلا شك سنا صغيرة مبكرة لمن تصدى لمثل هذا العمل العام وخاصة الإفتاء وقد تصدى للإفتاء وإملاء الحديث بجامع ابن طولون سنة ٨٧٢ هـ .

وأضيف إليه تدريس الحديث ووظيفة الإسماع بالخانقاه الشيخونية سنة ٨٧٧ هـ بمساعدة الأمير إينال الأشقر .

السيوطى محدثا :

يكفى أن نتصدى لمؤلفاته فى الحديث ومتعلقاته :

١ ــ كشف المغطا فى شرح الموطا .
٢ ــ إسعاف المبطا برجال الموطا .
٣ ــ التوشيح على الجامع الصحيح .
٤ ــ الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج .
٥ ــ مرقاة الصعود إلى سنن أبى داود .
٦ ــ شرح ابن ماجه .
٧ ــ تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى .
٨ ــ شرح ألفية العراق .
٩ ــ عين الإصابة فى معرفة الصحابة .
١٠ــ اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة .
١١ــ لب اللباب فى تحرير الأنساب.
١٢ــ منتهى الآمال فى شرح حديث « إنما الأعمال » .
١٣ــ شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور .
١٤ــ البدور السافرة فى أحوال الآخرة .
١٥ــ خصائص يوم الجمعة .
١٦ــ الفوائد الكامنة فى إيمان السيدة آمنة .
١٧ــ مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا .
١٨ــ الأساس فى مناقب بنى العباس .
١٩ــ در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة .
٢٠ــ زوائد شعب الإيمان للبيهقى .
٢١ــ تخريج أحاديث صحاح الجوهرى .
٢٢ــ تخريج أحاديث الدرة الفاخرة .
٢٣ــ زوائد الرجال على تهذيب الكمال .
٢٤ــ الدر المنظم فى الاسم المعظم .
٢٥ــ من عاش من الصحابة مائة وعشرين .

٢٦ـ أسماء المدلسين .
٢٧ـ المرقاة العلية فى شرح الأسماء النبوية .
٢٨ـ لآية الكبرى فى شرح قصة الإسرا .
٢٩ـ اربعون حديثا من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر .
٣٠ـ الكلام على حديث ابن عباس « احفظ الله يحفظك » (وهو تصدير ألقاه لما ولى درس الحديث بالشيخونية) .
٣١ـ أربعون حديثا فى فضل الجهاد .
٣٢ـ أربعون حديثا فى رفع اليدين فى الدعاء .
٣٣ـ القول الأشبه فى حديث « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .
٣٤ـ نشر العبير فى تخريج أحاديث الشرح الكبير .
٣٥ـ زوائد نوادر الأصول للحكيم الترمذى .

هذا وسجل مؤلفات السيوطى غنى بمؤلفاته ، ثرى برسائله ومصنفاته فى شتى العلوم والفنون !



الكتـاب :

كان هذا الكتاب الذى بين أيدينا اليوم وليد فتوى أفتى بها الإمام السيوطى :
« بأن المختار أن أم النبى ﷺ موحّدة ، وحكمها حكم من تحنّف فى الجاهلية ، وكان على دين إبراهيم ، وترك عبادة الأصنام كزيد بن عمرو وأضرابه .

وبأن الحديث الوارد فى أن الله أحياها ليس بموضوع كما ادعاه جماعة من الحُفّاظ .

بل هو من قسم الضعيف الذى يتسامح بروايته فى الفضائل خصوصا فى مثل هذا الموطن » .

وكان عليه أن يبين المستند لكل من الأمرين اللذين تضمنتهما فتواه !

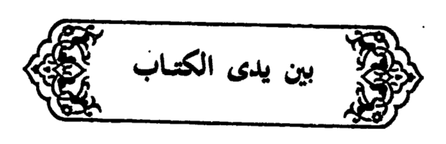
فهل يعوزه ذلك وهو الحافظ المحدث المفسر المفتى الإمام ؟

ومن غير السيوطى يمكنه أن يتحدث بما تحدث به ؟! فيجعل من ذلك كله كتابا يعد مدرسة فى الاستدلال ومعرفة الرجال .

إن هذا الكتاب يعد ـــ على صغر حجمه ـــ مرجعا هاما لا فى موضوعه فحسب ولكن فى الدراسات الحديثية فهو دراسة علمية موضوعية تطوف بنا فى علوم الحديث من حيث السند والمتن وتضع بين أيدينا صورة لما ينبغى أن يكون عليه من يتصدى للفتيا من علم بتاريخ الرواة والجرح والتعديل، وعلل الحديث وغريبه ، ومختلفه وناسخه ومنسوخه .

وهكذا جاء هذا الكتاب دراسة تطبيقية لما يدرسه الطلاب من دراسات نظرية .

إنه كنز من كنوز التراث . أرجو الله أن أكون قد وفقت فى اختياره وتحقيقه بما أضفته إليه من ضبط كلماته ، وشرح عباراته ، وإلقاء الضوء على الحفّاظ والرجال الذين ذكرهم الإمام السيوطى فى استشهاداته ، وما وضعته من عناوين تساعد على فهم ما جاء فى صفحاته . هذا ولم يفتنى أن أذكر رقم الآيات وسورها مع توضيح إشاراته ، وتنسيق عباراته . فهل ترانى كنت موفقا؟! منتهى أملى أن يصاحبنى التوفيق . والله ولى التوفيق .



أضواء على موضوع الإحياء
للمفسر المحدّث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى
المتوفى سنة ١١٦٢ هجرية

ذكر العجلونى فى كتابه :
« كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس »
الحديث رقم ١٥٠ وهو :

« أحيا الله أبوى النبى ﷺ حتى آمنا به »

وتصدى فى دراسة علمية لسند الحديث ومتنه وآراء المحدثين والحفاظ فيه ، وبخاصة « السيوطى » ملخصا المسالك الثلاثة التى سلكها العلماء مقررا الرأى الذى ارتآه ، والفتوى التى أفتى بها السيوطى .

وقد رأيت أن هذه الدراسة جديرة بالنظر والتأمل قبل الاطلاع على كتاب الإمام السيوطى فجعلتها بين يديه ، وكيف لا وهى دراسة محدّث مُفَسّر خبير بالرجال جاء بعد السيوطى .



من كتاب كشف الخفاء ومزيل الالتباس للعجلونى

١٥٠ ــ « أحيا الله أبوى النبى ﷺ حتى آمنا به »
أورده العسكرى عن عائشة .

وقال فى « التمييز » تبعا « للمقاصد » أورده الخطيب فى « السابق واللاحق » وكذا « السُّهيلى » عن عائشة ، وقال :

« فى إسناده مجاهيل »

وقال ابن كثير إنه :

« مُنكر جدا وإن كان ممكنا بالنظر إلى قدرة الله ، ولكن ثبت فى الصحيح ما يعارضه » .

وأقول : الترجمة المذكورة ليست بلفظ الحديث ، وإنما لفظه ما سيأتى .

وقوله : ثبت فى الصحيح ما يعارضه . هو ما رواه مسلم عن أنس بلفظ :

« إن رجلا قال : يارسول الله ، أين أبى ؟ قال : « فى النار » فلما قفّى ، دعاه فقال : إن أبى وأباك فى النار » [مسلم كتاب الإيمان حديث ٣٤٧] .

وكذا ما رواه مسلم أيضا وأبو داود عن أبى هريرة : **« أنه ﷺ استأذن فى الاستغفار لأمه ، فلم يؤذن له »**[مسلم كتاب الإيمان حديث ١٠٥] .

وقدوقع فى كلام بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى :

﴿ ولا تُسْأل عن أصحاب الجحيم ﴾ مالا يليق ، أخذا بظاهر ما فى الصحيح المارّ ويمكن الجواب بأن ما فى الصحيح كان أولا ، ثم أحياهما الله تعالى حتى آمنا به ﷺ معجزة له ، وخصوصية لهما فى نفع إيمانهما به بعد الموت .

على أن الصحيح عند الشافعية من الأقوال :

« أن أهل الفترة ناجون »

قد ألف كثير من العلماء فى إسلامهما ــ شكر الله سعيهم ــ منهم :

ــ **الحافظ السخاوى** ؛ فإنه قال فى المقاصد :

وقد كتبت فيه جزءا ، والذى أراه : الكف عن هذا إثباتا ونفيا .

وقال فى الدرر :

أخرجه بعضهم بإسناد ضعيف .

وما أحسن قول حافظ الشام ابن ناصر الدين :

حَبَا اللهُ النبىّ مزيدَ فضلٍ على فضلٍ وكان به رءوفا
فأحيا أمّه وكذا أباه لإيمان به فضلا لطيفا
فسلّم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا

٢ — ومنهم الحافظ السيوطى :

فإنه ألف فى ذلك مؤلفات عديدة منها :

« مسالك الحنفا فى إسلام والدى المصطفى ﷺ »

وحاصل ما ذكره فى ذلك ثلاثة مسالك :

لمسلك الأول :

أنهما ماتا قبل البعثة ، ولا تعذيب قبلها ؛ لقوله تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ .

وقد أطبقت الأشاعرة من أهل الكلام والأصول ، والشافعية من الفقهاء على :

أن مَن مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ، وأنه لا يُقَاتَل حتى يُدْعى إلى الإسلام ، وأنه إذا قتل يُضمن بالدية والكفارة ، كما نص عليه الشافعى وسائر الأصحاب . بل قال بعضهم :

« إنه يجب فى قتله القصاص »

لكن الصحيح خلافه ، لأنه ليس بمسلم حقيقى ، وشرط القصاص المكافأة .

المسلك الثانى :

أنهما لم يثبت عنهما شرك ، بل كانا على الحنيفيّة دين جدهما إبراهيم عليه السلام ، كما كان على ذلك طائفة مِن العرب ، كزيد بن عمرو بن نُفَيل ، وورقة بن نَوفل . وذهب إلى هذا المسلك طائفة منهم : الإمام الرازى .

بل قالوا : « إن سائر آبائه ﷺ لهم هذا الحكم ؛ فليس فيهم كافر » .

وأما « آذر » فليس بوالد إبراهيم ، بل عمه على الصحيح .

المسلك الثالث :

أن الله أحيا له أبويه حتى آمنا به ﷺ .

وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من حفاظ المحدثين وغيرهم منهم : ابن شاهين ، والحافظ أبو بكر البغدادى ، والسُّهيلى ، والقرطبى ، والمحب الطبرى وغيرهم .

واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين ، والخطيب البغدادى ، والدارقطنى ، وابن عساكر بسند ضعيف عن عائشة رضى الله عنها ــ قالت :

«حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع فمر على عقبة الحَجُون ، وهو باكٍ حزين مُغْتَم ، فنزل فمكث عنى طويلا ، ثم عاد إلىّ وهو فرح مبتسم ، فقلت له ، فقال : ذهبت لقبر أمى ، فسألت الله يحييها ، فأحياها ، فآمنت بى ، وردها الله» . وهذا الحديث ضعيف باتفاق الحفاظ ، بل قيل : إنه موضوع ، لكن الصواب ضعفه .

وأورده السهيلى فى **روضه بسند** فيه مجهولون عن عائشة : بلفظ «إن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له ، ثم آمنا ، ثم أماتهما» . قال السهيلىُ ، بعد إيراده : والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيه أهل أن يختص بما شاء من فضله ، وينعم عليه بما شاء من كرامته .

وقال القرطبى : لا تعارض بين حديث الإحياء ، وحديث النهى عن الاستغفار ؛ فإن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة أن ذلك كان فى حجة الوداع .

ولذا جعله ابن شاهين ناسخا لما ذكر من الأخبار .

وقال العلامة ابن المنير المالكى فى المقتفى فى شرف المصطفى :

قد وقع لنبينا ﷺ إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم .. إلى أن قال :

وجاء فى حديث : **«أن النبى ﷺ لما مُنِعَ من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيى له أبويه ، فأحياهما له ، فآمنا به ، وصدقاه ، وماتا مؤمنين»** .

وقال القرطبى : فضائل النبى ﷺ لم تزل تتوالى ، وليس إحياؤهما ، وإيمانهما به ممتنعًا عقلا ولا شرعا ، فقد ورد فى القرآن إحياء قتيل بنى إسرائيل ، وإخباره بقاتله ،

وكان عيسى عليه السلام يحيى الموتى ، وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله على يديه جماعة من الموتى ، وإذا ثبت هذا ، فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة فى كرامته ، وفضيلته ﷺ .

وقال ابن سيد الناس بعد ذكر قصة الإحياء :

والأحاديث الواردة فى التعذيب ، ذكر بعض أهل العلم فى الجمع بين هذه الروايات ما ما حاصله :

أنه ﷺ لم يزل راقيا فى المقامات السنية ، صاعدا فى الدرجات العلية ، إلى أن قبض الله روحهُ الطاهرة إليه ، وأزلفه إلى ما خصه لديه من الكرامة حين القدوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له ﷺ بعد أن لم تكن ، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخرين عن تلك الأحاديث ؛ فلا تعارض . (انتهى)

ثم قال السيوطى :

وقد سئلت أن أنظم هذه المسألة أبياتا أختم بها هذا التأليف فقلت :

إن الذى بعث النبى محمداً ... **نجىَّ به الثقلين مما يُجحِفُ**
ولأمه وأبيه حكم شائعٌ ... **أبداه أهلُ العلم فيما صنّفوا :**
فجماعةٌ أجْرَوْهما مُجْرَى الذى ... **لم يأته خيرُ الدعاءِ المسْعِفُ .**
والحكم فيمن لم تجئه دعوةٌ ... **أن لا عذابَ عليه حُكمٌ يُؤلفُ**
فبذاك قال الشافعيةُ كلُّهم ... **والأشعرية ما بهم مُتوَقِّفُ**
وبسورة الإسراء فيها حُجّةٌ ... **وبنحو ذا فى الذكرى آى تُعرَفُ**
ولبعض أهلِ الفقه فى تعليله ... **معنى أرق من النسيم وألطفُ**
إذْ هم على الفطر الذى ولدوا ، ولم ... **يظهر عنادٌ منهم وتخلُّفُ**
ونحا الإمام الفخر رازى الورى ... **معنى به للسامعين تشنّفُ**
قال : الأولى ولدوا النبى المصطفى ... **كلٌّ على التوحيد إذ يتحنّفُ**
من آدم لأبيه عبد الله ، ما ... **فيهم أخو شرك ولا مُستنكِفُ**
فالمشركون كما بسورة توبةٍ ... **نجس ، وكلهم بطهر يوصَفُ**
وبسورة الشعراء فيه تقلب ... **فى الساجدين فكلهم متحنف**
هذا كلام الشيخ فخر الدين فى ... **أسراره هطلت عليه الذرّف**
فجزاه ربُّ العرش خير جزائه ... **وحباه جنات النعيم تزخرف**

فلقد تدين فى زمان الجاهلي	ـة فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو ، وابن نوفل هكذا	الصديق ما شرك عليه يُعْتَف
قد قرر السبكى بذاك مقالة	للأشعرى ، وما سواه مزيف
إذ لم تزل عين الرضا منه على	الصديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادى فما	فى الجاهلية للضلالة يَعرف
فَلأُمُّهُ وأبوه أخرى ، سيّما	ورأت من الآيات ما لا يوصَف ،
وجماعة ذهبوا إلى إحيائـه	أبويه حتى آمنا لا خُوّف
وروى ابن شاهين حديثا مسنداً	فى ذاك لكن الحديث مُضَعّف
هذى مسالك لو تفرد بعضها	لكفى ، فكيف بها إذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته	أدباً ، ولكن أين هو من مُنصِف
صلى الإله على النبى محمد	ما جدّدَ الدين الحنيف محنف

(انتهى)

وقال الشهاب الخفاجى فى آخر كتابه جانس :

لما قرأت ما قاله علماء الحديث فى الخصائص النبوية : أنه لا تلج النار جوفا فيه قطرة من فضلاته عليه الصلاة والسلام ، فقال من كان عندنا : إذا كان هذا فكيف تعذب أرحام حملته ؟! ونظمته بقولى :

لوالـدى طه مقـام عَلِـىٌّ	فى جنة الخُلد ودار الثواب
فقطـــــرة من فضلات له	فى الجوف تنجى من أليم العقاب
فكيف أرحام له قد غدت	حاملةً تصلى بنار العذاب ؟ !

(انتهى)

هـذا ...

ولا يفوتنى أن أنوه بأن عناوين الفصول وكذا العناوين الجانبية هى من عملى لإتاحة الفرصة للقارىء فى قراءة هادية ، ومتابعة واعية ، ودراسة مجدية ، والله الموفق .

المحقق

وقف لله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ثبت بأن
ان ام النبي صلى الله عليه وسلم موحدة وحكمها حكم
من تحنف في الجاهلية وكان على دين ابرهيم
وترك عبادة الاصنام كزيد بن عمرو بن نفيل وامثاله
وباب الحديث الوارد في ان الله احياها له ليس
موضوعا كما ادعاه جماعة من الحفاظ بل هو من قسم
الضعيف الذي يتسامح في روايته في الفضايل خصوصا
في مثل هذا الموطن فتضمن هذا الافتا امران
محتاجان الى بيان المستند لكل منهما
قال ابن شاهين في كتابه الناسخ والمنسوخ
حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الانصار
ثنا احمد بن يحيى الحضرمي بمكة ثنا ابو غزية
محمد بن يحيى الزهري ثنا عبد الوهاب بن موسى
الزهري عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن
هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل الى
الحجون كييبا حزينا فاقام به ما شاء ربه عز
وجل ثم رجع مسرورا فقلت يا رسول الله نزلت

الصفحة الأولى من المخطوط

الروايات بالحل ولا منافاة بينهما وجب حمل
الآية على الحل فثبت عن ذلك ثبت ان والد
ابراهيم ما كان من عبدة الاوثان ومما
يدل على ان آباء محمد صلى الله عليه وسلم
ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام
لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام
الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس
فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا
هذا كلام الامام فخر الدين والله اعلم

وصلى الله على
سيدنا محمد
وعلى آله
وصحبه وسلم
تسليما
دائما
ابدا

الصفحة الأخيرة من المخطوط

مقدمـــــة الكتـــــاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله .. وسلام على عباده الذين اصطفى ..

وبعـــد ..

فقـــــد أفتيـــــت :

[١] بأن المختار أن أم النبى ﷺ مُوَحِّدَة وحكمها حكم من تَحَنَّفَ فى الجاهلية[١] ، وكان على دين إبراهيم وترك عبادة الأصنام كزيد بن عمرو وأضرابه[٢] .

[٢] وبأن الحديث الوارد فى أن الله أحياها ليس بموضوع كما ادعاه جماعة من الحُفّاظ[٣] .

بل هو من قسم الضعيف الذى يُتَسامح بروايته فى الفضائل خصوصا فى مثل هذا الموطن[٤] .

---

(١) تحنف : اعتزل عبادة الأصنام ، وعبد الله على ملة إبراهيم المستقيمة ، المائلة عن الشرك فالحنف : الميل ، والتحنف : النسك والعبادة .

(٢) الأضراب : جمع ضَرب وهو المثل والشبيه ، وقد كان هناك أفراد فى الجاهلية لم تكن عبادة الأصنام تعجبهم ، فقد كانوا يرون أن هناك حقيقة غابت عنهم ، وأن طرقهم التى هم عليها لا توصلهم إلى الله ، ويقولون فى أنفسهم : ما معنى التوصل إلى الله بحجارة لا تضر ولا تنفع ؟! وممن اشتهر من هؤلاء أربعة نفر : ثلاثة من قريش ، ورابع من حلفائهم : فالقرشيون : ورقة بن نوفل الأسدى من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى ، وزيد بن عمرو بن نفيل العدوى من عدى بن كعب ، وعثمان بن الحويرث الأسدى من بنى أسد بن خزيمة ، وأمه أميمة بنت عبد المطلب . اجتمعوا مرة فى يوم عيد لأحد أصنامهم فقالوا : تعلمُنَّ ــ والله ــ ما قومكم على شئ !! ؛ لقد أخطئوا دين إبراهيم ! ما حجر نُطيف به لا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ؟! ياقوم ، التمسوا لأنفسكم فإنكم ــ والله ــ ما أنتم على شئ ، فتفرقوا يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم . وسمى هؤلاء وأضرابهم : الحنفاء . ويقول «بروكلمان» : «ولم ينقلوا فكرتهم عن اليهود والنصارى كما يظن كثير من الباحثين» . ويقول الدكتور الحوفى : إنما كان هؤلاء فريقا من المستبصرين المفكرين الذى جروا على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . وهؤلاء سُمُّوا الحنفاء .

(٣) الحُفّاظ : جمع حافظ ، وهو الذى أحاط بما لا يقل عن مائة ألف حديث متنا وسندا .

(٤) الحديث الضعيف هو : الذى لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا صفات الحديث الحسن ؛ فهو أدنى فى سنده من رتبة الصحيح والحسن ، أو وُجد فيه علة قادحة .

وتتدرج مراتب الضعف تبعا للثغرات التى حدثت فى الحديث . ولقد وضع العلماء لكل نوع من أنواع الضعف اسما معيناً نرى أن نذكره لأهميته فى البحث القادم . ومن تلك الأسماء : المرسل ، والمنقطع ، =

فتضمن هذا الإفتاء أمرين محتاجين إلى بيان المستند لكل منهما .



=والمعضل ، والمدلّس ، والمضطرب ، والمقلوب ، والشاذ ، والمنكر ، والمتروك . بقيت ملاحظتان جديرتان بالذكر :

الأولى ـــ أنه يجب الأخذ بالحديث الصحيح والحسن .

الثانية ـــ أن الأخذ بالحديث الضعيف والعمل به فيه اختلاف . ويكاد معظم العلماء يرون العمل به فى فضائل الأعمال ، والمواعظ ، والترغيب والترهيب ، وعدم الأخذ به فى العقائد والأحكام ، كالحلال والحرام .

القسم الأول

الأدلة على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار بل هى موحدة

دراسة علمية موضوعية لأحاديث الزيارة والإحياء تدور حول ما يأتى:

١ ــ كونها مُتحَنِّفة .
٢ ــ إحياؤها حتى آمنت .
٣ ــ كونها من أهل الفترة .
٤ ــ ما ثبت فى الصحيحين متعلقا بإعتاق أبى لهب لجاريته .
٥ ــ ما رواه ابن الجوزى مما أخبر به جبريل النبى ﷺ .

بيــان المســتند لمــا أفتــى بــه
الإمـــام الســـيوطى
وإظهار الفوائد الكامنة فى إسلام آمنة

قال ابن شاهين فى كتابه : « الناسخ والمنسوخ »[1] :

حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الأنصار ، ثنا أحمد بن يحيى الحضرمى بمكة ، ثنا أبو غُزَيّة محمد بن يحيى الزّهرى، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهرى ، عن عبد الرحمن بن أبى الزّناد ، عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها :

---

(١) عمر بن أحمد بن شاهين البغدادى : واعظ علامة ، من حفاظ الحديث ، له نحو من ثلثمائة مصنّف ، توفى سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م (الأعلام ٥/١٩٦) .

وعِلْم « ناسخ الحديث ومنسوخه » يقوم على بحث الأحاديث المتعارضة التى لا يمكن التوفيق بينها ، ويبحث عن المتقدم منها ، والمتأخر ، فما ثبت تقدّمه يقال له : « منسوخ » ، وما ثبت تأخره يقال له : « ناسخ » .

ويقول العلماء : إن معرفة الناسخ من المنسوخ قد تكون بنص من الشارع مثل قوله ﷺ : « نهيتكم عن زيارة القبور — فقد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه — فزوروها ، فإنها تذكرة الآخرة » رواه مسلم والترمذى وصححه .

وقد يعرف الناسخ بأن ينص عليه صحابى ، كذلك يعرف الناسخ بالتاريخ والسيرة كأن يحدد الوقت الذى ورد فيه كل من الحديثين المتعارضين .

ويبدو أن علم ناسخ الحديث ومنسوخه مرتقًى صعب ، لا يناله إلا الأثبات من العلماء فقد روى عن ابن شهاب الزّهرى قوله : أعيا الفقهاءَ وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ الحديث من منسوخه .

ومن العلماء الذين خاضوا ميدان هذا العلم : الإمام الشافعى ، والقاضى التنوخى ، ومحمد بن بحر الأصبهانى ، وقاسم القرطبى ، وعمر بن شاهين البغدادى ، وهبة الله بن سلامة ، ومحمد بن موسى الحازمى ، وابن الجوزى .

«أن النبي ﷺ نزل إلى الحَجُونِ[1] كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء ربه — عزّ وجلّ — ثم رجع مسروراً ؛ فقلت : يارسولَ الله ، نزلتَ إلى الحَجُونِ كئيباً حزيناً فأقمت به ما شاء الله ، ثم رجعت مسروراً ؟ قال : **سألتُ ربي عز وجل ، فأحيا لى أُمّى ، فآمنَت بى ، ثم ردّها**» .

رأى بعض الحفاظ فى الحديث :

أورده ابنُ الجَوْزىّ فى «الموضوعات»[2] .

وقال : قال الحافظ أبو الفضل بن طاهر[3] هذا الحديث موضوع .

ومحمد بن زياد هو النقاش ليس بثقة .

وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان .

رأى الإمام السيوطى :

قلت : أما محمد بن يحيى فليس بمجهول فقد ذكره الذهبى فى «الميزان» و«المغنى» معاً فقال : محمد بن يحيى ليس بمجهول .

أما أبو غزية المدنى الزهرى فقال الدارقطنى . متروك . وقال الأزدى : وهذه عبارته فقد عرف بالضّعف لا بالوضْع .

ومن يُتَرْجَم بهذا لا **يكون** حديثُه فى درجة الموضوع بل فى درجةِ الصعيف .

وأما أحمد بن يحيى الحَضْرَمىّ فليس بمجهول أيضاً ؛ فقد ذكره الذّهبىّ فى الميزان ،

---

(١) الحَجُون (مثل رسُول) جبل بمعلاة مكة ، وموضع ، وقد جاء فى سيرة ابن هشام أن أمه توفيت بالأبواء بين مكة والمدينة ، وكانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهى راجعة إلى مكة .

وذكر صاحب الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف قوله : ويقال : إن قبر آمنة بنت وهب أم النبى ﷺ فى شعب أبى دُب المعروف بشعب العقاريب ، وفيه كان يدفن فى الجاهلية وصدر الإسلام . و «أبودب» رجل من بنى سوأة بن عامر سكنه فسمى به ، وأنه ﷺ جاء إليها وزارها . وقيل : فى غير هذا المحل من المعلاة ، وقيل بالأبواء وهو المشهور .

(٢) ابن الجوزى هو : عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى . علامة عصره فى التاريخ والحديث . مولده ووفاته ببغداد . من آثاره : «روح الأرواح» و «تلبيس إبليس» ، و «كتاب الضعفاء والمتروكين» فى رجال الحديث — توفى سنة ٥٩٧ هـ ١٢٠١ م (الأعلام ٤/٧١) .

(٣) صنف الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدس كتابا جمع فيه رجال البخارى ومسلم . والحافظ المقدسى : محمد بن طاهر المقدسى الشيبانى حافظ كبير جوال توفى ببغداد سنة ٥٠٧ هـ ١١١٣ م .

وقال : روى عن حرملة التّجيبيّ ، وليّنه أبو سعيد بن يونس ؛ ومن يترجم بهذا يعتبر بحديثه .

وأما محمد بن زياد : فإن كان هو النقاش كما ذُكر فهو أحد العلماء بالقراءات ، وأحد الأئمة فى التفسير . قال الذهبى[1] : صار شيخ المقرئين فى عصره على ضعف فيه ، أثنى عليه أبو عمرو الدّانىّ ، وحَدَّث مناكير .

ومع ذلك فلم ينفرد به ؛ فإن للحديث طريقين آخرين : عن أبى غُزَيّة .

قال الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله المكي الطبرى[2] فى كتابه « السيرة » أنا أبو الحسن بن المقبر أنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامى أجازه أنا أبو منصور محمد بن أحمد بن على بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد أنا القاضى أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن الأخضر ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهرى ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهرى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة « أن النبى ﷺ نزل الحَجُون كئيباً حزيناً فأقام ما شاء الله ، ثم رجع مسروراً قال : « **سألت ربى فأحيا لى أمّى فآمنَتْ بى ، ثم ردّها كما شاء ذكره** » .

وأما الذّهبى : فلم يُعِلّ الحديث بواحد من الثلاثة المذكورين بل قال : قال فى الميزان[3] : عبد الوهاب بن موسى عن عبد الرحمن بن أبى الزناد بحديث : « **إن الله أحيا لى أمّى فآمنت بى** .. » (الحديث) لا يُدْرَى من ذا الحيوان الكذّاب ! فإن هذا

---

(1) الحافظ الذهبى : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى ، تركمانى الأصل ، حافظ ، علامة ، مؤرخ ، محقق . قارب عدد تصانيفه المائة . منها « المشتبه فى الأسماء والأنساب ، والكنى والألقاب ، وميزان الاعتدال فى نقد الرجال . توفى سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨ م (الاعلام ٦/ ٢٢٢) .

وكتابه : « ميزان الاعتدال » كتاب أساسى فى تاريخ الرواة وأحوالهم وتراجمهم سلك فيه مسلك ابن عدى فى ذكر كل من تُكُلِّم فيه ، وإن كان ثقة ، وأتى فى بعض تراجمه أيضا بحديث أو أكثر من غرائب صاحب الترجمة ومناكيره .

ويقول الحافظ الذهبى فى مقدمة كتابه ميزان الاعتدال : إنهم — ويعني المحدثين — لم يكونوا يسألون عن الإسناد حتى وقعت الفتنة ، فلما وقعت نظروا من كان من أهل السنة فأخذوا حديثه ، ومن كان من أهل البدع فقد تركوا حديثه .

(٢) الحافظ محب الدين الطبرى : هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر أبو العباس محب الدين الطبرى الشافعى ، صنف التصانيف الجيدة منها « الأحكام » و « كتاب فى فضل مكة » وغير ذلك توفى سنة ٦٩٤ هـ (طبقات الشافعية للسبكى) (٨/ ١٨) .

(٣) سبق أن عرفنا بهذا الكتاب عند الترجمة للحافظ الذهبى . وانظر الحديث بنفس المرجع ٢/ ٦٨٤ .

الحديث كذب مخالف لما صحّ من «أنه عليه السلام استأذن ربّه فى الزيارَة فى الاستغفار لها فلم يأذن له . (انتهى) .

وحاصله : أنه أعَلّ[1] الحديث بأمرين :

أحدهما — جهالة عبد الوهاب بن موسى !

الثانى — مخالفته للحديث الصحيح المذكور .

رأى الإمام السيوطى :

وأقول : الجواب عن الأمر الأول : أن عبد الوهاب معروف من رُواة مالك ، وقد روى هذا الحديث أيضا عنه .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب فى كتاب[2] (السابق واللاحق) : «أنا أبو العلاء الواسطى ، ثنا الحسين بن على بن محمد الحلبى ، ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد ، ثنا على بن أيوب الكعبى ، ثنا محمد بن يحيى الزهرى أبو غزية ، ثنا **عبد الوهاب بن موسى** ثنا مالك بن أنس عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت :

«حجّ بنا رسولُ الله ﷺ حَجّةَ الوَدَاع فمرّ بى على عَقَبَةِ الحَجُونِ وهو باكٍ حزين مُغْتمّ فبكيت لبكاء رسول الله ﷺ ثم إنه طفر[3] ، فنزل ، فقال : ياحُمَيْراء استمسكى» فاستندت إلى جنب البعير ، فمكث عنى طويلا ، ثم إنه عاد إلىّ وهو

---

(١) عكف علماء المسلمين على دراسة الحديث دراسه سمية موضوعية وقسموه قسمين : السند ، والمتن ، واصطنعوا لكل من القسمين عددا من العلوم قرروا فيها موازين ومقاييس تساعدهم على الوصول إلى أدق الأحكام ، وأصحها . فمن العلوم التى استبطوها لدراسة السند (الرواة) : ١ — علم تاريخ الرواة . ٢ — علم الجرح والتعديل . ٣ — علم علل الحديث . ومن العلوم التى استنبطوها لدراسة المتن (النص) : ١ — علم غريب الحديث . ٢ — علم مختلف الحديث . ٣ — علم ناسخ الحديث ومنسوخه . والعلة فى الحديث ليست من الأمور الظاهرة فى غالب الأحيان ، وإنما هى سبب خفى لا يدركة إلا الراسخون فى العلم الذين تكونت عندهم بطول الدرس والممارسة الملكة الواعية المميزة التى تستطيع معرفة الأحاديث المعلولة ، والكشف عن الأسباب الغامضة التى تطعن فى صحتها كأن يكون الحديث موقوفا ويروى على أنه مرفوع ، أو يكون منقطعا ويروى على أنه موصول ، وما شابه ذلك .

(٢) له أيضا : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع . وله : « تقييد العلم » و « الكفاية » وهو محدث الشام والعراق ، ولد سنة ٣٩٢ هـ وهو من كبار الفقهاء الشافعية توفى سنة ٤٦٣هـ.

(٣) طفر : أى وثب .

فرح متبسّم ؛ فقلت له : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، نزلت من عندى وأنت باك حزين مُغْتَم ، فبكيت لبكائك ثم إنك عُدتَ إلىَّ وأنت فرح مُتَبسّم ؛ فعن ماذا يارسول الله ؟ فقال : **«مررت بقبر أُمّى آمنة ، فسألت الله أن يُحْيِهَا فأحياها ، فآمنت بى — أو قال — وردها الله عَزّ وجل»**[1] أخرجه من هذا الطريق الدارقُطْنى[2] فى «غرائب مالك» وقال : باطل !

وأخرجه ابن عساكر[3] فى «غرائب مالك» أيضا ، وقال : منكر ! وأورده «ابن الجوزى» فى «الموضوعات» أيضاً ، ولم يتكلم على رجاله وقد قال «الذهبى» فى «الميزان» : على بن أيوب أبو القاسم الكعبى روى عن محمد بن يحيى الزهرى لا يكاد يُعْرَف !

رأى السيوطى :

قلث : قد بان بهذا الطريق أن عبد الوهاب بن موسى أحد الرواة عن مالك ، وعبد الوهاب بن موسى هذا يقال له أبو العباس الزّهرى ، ذكره الخطيب فى الرواة عن مالك .

وأورد له أثراً عن مالك ، فأخرج من طريق سعيد بن الحكم بن أبى مريم ، المصرى ثنا عبد الوهاب بن موسى الزّهرى ثنا مالك بن أنس حدثنى عبد الله بن دينار عن سعيد الجارمى مولى عمر بن الخطاب أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب «إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا مِتّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة» هذا الأثر معروف عن مالك أخرجه «ابن سعد»

---

(١) لفظ الخطيب : قال القرطبى : وقد ذكر السُّهيلى فى «الروض الأنف» بإسناد فيه مجهولون : «أن الله تعالى أحيا له أباه وأمه وآمنا به» .

(٢) الدارقطنى : هو على بن عمر . ولد بدار القطن (حى فى بغداد) سنة ٣٠٦ هـ/ ٩١٩ م وكان إمام عصره فى الحديث ، وأول من صنف فى القراءات،ومن كتبه : «السنن» و «المختلف» و «المؤتلف» .

(٣) ابن عساكر هو أبو القاسم على بن الحسن الدمشقى الشافعى خاتمة الجهابذة الحفاظ توفى سنة ٥٧١هـ ولقد أنشئت أول دار للحديث فى القرن الهجرى السادس تحقيقا لرغبة نور الدين محمود بن أبى سعيد الزنجى (٥٦٩) الذى خلد اسمه بإنشاء المدرسة النورية فى دمشق وكان ابن عساكر من شيوخ هذه المدرسة .

فى «الطبقات»[1] عن سعن بن عيسى عن مالك سنده ومنه سواء؛ فزالت جهالة عين عبد الوهاب برواية ثان عنه، وبروايته المعروفة وكان الحديث عنده من طريقين.

عن هشام عن مالك عن أبى الزناد.

وعن عبد الرحمن بن أبى الزناد. فرواه مرة هكذا، ومرة هكذا.

وفى هذه الطريق زيادة فائدة وهى: أن ذلك وقع فى «حجة الوداع» وبه يحصل الجواب عن الأمر الثانى، وهو المخالفة لحديث الاستئذان فى الاستغفار عند الزيارة، فإن قصة الزيارة كانت «عام الفتح» كما فى حديث بُرَيْدة وذلك قبل هذه القصة بعامين.

ولهذا أورده ابن شاهين فى «الناسخ والمنسوخ» فأورد أولا: حديث الزيارة والنهى عن الاستغفار وجعله منسوخاً.

وأورده بعده: حديث عائشة فى الإحياء وجعله ناسخا. وذلك حسن جَلِىّ، وتابعه القُرطُبِى[2] على ذلك فقال فى «التذكرة» بعد أن أورد حديث عائشة فى إحياء أمه، وحديث إحياء أَبَوَيْهِ:

ولا تعارض؛ لأن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لهما بدليل حديث عائشة فى حجة الوداع؛ ولذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار.

وقال ابن شاهين أيضاً:

حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ثنا إبراهيم بن سعيد وزهير بن محمد ـــ وله اللفظ ـــ قالا: ثنا عبد الرحمن بن المبارك ثنا الصعق بن حرب عن على بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبى وائل عن ابن مسعود قال: «جاء ابنا مليكة فقالا: يارسول

---

(١) ابن سعد هو: محمد بن سعد الزهرى، مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث، ولد فى البصرة، وعاش فى بغداد توفى سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م (الأعلام ٦/٧) وانظر الأثر فى طبقاته (٥/١٩٦ـــ١٩٧).

(٢) القرطبى شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن أبى فرح الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ.
إمام فقيه مجتهد وله تصانيف كثيرة مشهورة منها: الجامع لأحكام القرآن، والأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى، والإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام، و «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» وقد أفرد فيها فصلا تناول فيه ذلك التعارض بين حديث الإحياء، والاستغفار» وهو بحث جدير بالاطلاع عليه، ولولا أن المؤلف نقله بنصه لنقلناه إليك فى مقدمة الكتاب مع ماقاله العجلونى فى ؟ الموفق.

الله ، إن أمَّنا كانت تُكرم الضيف ، وقد ماتت فى الجاهلية ، فأين أمُّنا ؟ فقال : **«أمكما فى النار»** . فقاما وقد شقّ ذلك عليهما ، فدعاهما رسول الله ﷺ فقال : **«إن أمّى مع أمّكما»** !

فقال منافق من الناس : أوَ مَا يغْنى هذا عن أمّه إلا ما يغنى ابنا مليكة عن أمهما ؟!

فقال شاب من الأنصار : لو أن أبويك ! فقال رسول الله ﷺ : **«ماسألتهما ربى فيعطينى فيهما ، وإنى لقائم المقام المحمود !»** .

أخرجه الحاكم فى المستدرك[1] وقال : صحيح .

الفوائد الكامنة فى هذا الحديث :

فى هذا الحديث فوائد :

منها ــ أن قوله : «أمى مع أمّكما» كان قبل أن يَسأل ربّه فيها ، فلا ينافيه حديث إحيائها ، وإيمانها حين سأل ربه فى ذلك .

ومنها ــ أنه ﷺ جوز أنه إذا سأل ربه فيها يعطيه ، فدل ذلك على إمكانه .

ومنها ــ أن أصحابه جوزوا ذلك عليه ، واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضى ذلك .

وقال ابن سعد فى الطبقات : «أنا عفان بن مسلم ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن إسحاق بن عبد الله بن الحرث قال : «قال العباس : يارسولَ الله ، أترجو لأبى طالب ؟ قال : **«كلَّ الخير أرجو مِنْ رَبّى»** .

فإذا كان هذا رجاؤه لأبى طالب ، مع كونه أدرك البعثة ، وعرض عليه الإسلام فأبى فَلِأَبَوَيْه أولى .

---

(١) الحاكم هو : الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدون نعيم الضبى الطهمانى النيسابورى المعروف بابن البيع المتوفى سنة خمس وأربعمائة ، وكتابه معروف بالمستدرك على كتاب الصحيحين مما لم يذكراه ، وهو على شرطهما ، أو شرط أحدهما ، أولا على شرط واحد منهما . ويقول منير الدمشقى : وهو متساهل فى التصحيح : واتفق الحفاظ على أن تلميذه البيهقى أشد تحرياً منه . انظر المستدرك (٣٦٤/٢) . والحلية لأبى نعيم (٢٣٨/٤) .

وقال السُّهَيْلى فى كتابه «الروض الأُنُف»[1] روى حديث غريب — لعله يصح — وجدته بخط جدى أبى عمر بن أبى الحسن القاضى بسند فيه مجهولان ، ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه إلى أبى الزناد عن عروة عن عائشة أخبرت «أن رسول الله ﷺ سأل ربّه أن يُحْيِيَ أبَوَيْه فأحياهما له ؛ فآمنا به ، ثم أماتهما» .

والله قادر على كل شئ وليس تعجزُ رحمتُه وقدرتُه عن شئ ، ونبيه ﷺ أهلٌ أن يختص بما شاء من فضله ، ويُنْعم عليه بما شاء من كرامته . (انتهى)

وقال القرطبى : ذكر الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية[2] أن الحديث فى إيمان أمه وأبيه «موضوع» يرده القرآن العظيم والإجماع قال تعالى : ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾[3] .

وقال : ﴿فَيَمُتْ وهو كافر﴾[4] فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة .. بل لو آمن عند المعاينة[5] ، لم ينفع فكيف بعد الإعادة ؟!

وفى التفسير أنه عليه السلام قال : «ليت شعرى ما فعل أبواى» ؟! فنزل : ﴿ولا تُسْأَلُ عن أصحابِ الجحيم﴾[6] .

---

(١) الرّوض الأُنُف على سيرة ابن هشام للسهيلى . قال فى القاموس : وروضةٌ أُنُف — كعنق — لم تُرْعَ . وجارية أُنُف : لم تطمث ، وكأس أنف لم تمتد إليها يد .

(٢) هو الحافظ عمر بن الحسن المشهور بابن دحية ، وهو أندلسى بلنسى ، نسبة إلى بلنسية مدينة فى شرق الأندلس . توفى بالقاهرة سنة ٦٣٣ . له : «التنوير فى مولد السراج المنير» وكان أول أستاذ فى دار الحديث التى أقيمت فى القاهرة بأمر الملك الأيوبى الكامل ناصر الدين وقد تم تأسيسها سنة ٦٢٢ هـ .

(٣) النساء : ١٨ .

(٤) البقرة : ٢١٧ .

(٥) معاينة الموت . كإيمان فرعون عندما قال « آمنت » وذلك حين أدركه الغرق .

(٦) البقرة : ١١٩ . قال ابن كثير فى تفسيره للآية وقرأ آخرون : «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» بفتح التاء على النهى . أى لا تسأل عن حالهم . كما قال عبد الرزاق : أخبرنا الثورى عن موسى بن عبيدة عن محمد ابن كعب القرظى قال : قال رسول الله ﷺ : « ليت شعرى ما فعل أبواى . ليت شعرى ما فعل أبواى . ليت شعرى ما فعل أبواى ؟ فنزلت : ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ فما ذكرهما حتى توفاه الله عز وجل » . ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن وكيع عن موسى بن عبيدة . وقد تكلموا فيه عن محمد بن كعب بمثله . وقد حكاه القرطبى عن ابن عباس ومحمد بن كعب . قال القرطبى : وهذا كما يقال : لا تسأل عن فلان . أى قد بلغ فوق ماتحسب. وقد ذكرنا فى التذكرة « أن الله أحيا له أبويه حتى آمنا به . وأجبنا عن قوله : إن أبى وأباك فى النار » قلت : والحديث المروى فى حياة أبويه عليه السلام ليس فى شئ من الكتب الستة ، ولا غيرها وإسناده ضعيف . والله أعلم .

قال القرطبى : وفيما ذكره ابن دحية نظر ؛ وذلك أن فضائل النبى ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى ، وتتابع إلى حين مماته ، فيكون هذا مما فضله الله تعالى وأكرمه به .

وليس إحياؤهما وإيمانهما بممتنع عقلا ولا شرعا ؛ فقد ورد فى الكتاب العزيز إحياء قتيل بنى إسرائيل ، وإخباره بقاتله .

وكان «عيسى ابن مريم» عليه السلام يُحْيِى الموتى .

وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله على يديه جماعةً من الموتى .

وإذا ثبت هذا فما يَمْنَعُ مِنْ إيمانهما بعد إحيائهما زيادة فى كرامته وفضيلته ، مع ما ورد من الخبر فى ذلكِ ، ويكون ذلك خصوصاً فيمن مَاتَ كافراً .

وقوله : «فمن مات كافرا ..» إلى آخر كلامه مردود بما فى الخبر : «أنّ الله تعالى ردّ الشمس على نبيِّه عليه السلام بعد مغيبها حتى صلى على» . ذكره أبو جعفر الطحاوى وقال : إنه حديث ثابت[1] . فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً ، وأنه لا يتجدد الوقت ، لما ردّها عليه ، فكذلك يكون إحياء أبوى النبى ﷺ نافعا لإيمانهما وتصديقهما بالنبى ﷺ . وقد قبل الله إيمان قوم يونس[2] وتوبتهم ، مع تَلَبُّسهم بالعذاب ، كما هو أحد الأقوال ، وهو ظاهر القرآن .

وأما الجواب عن الآية : فيكون ذلك قبل إيمانهما ، وكونهما فى العذاب .

[انتهى كلام القرطبى]

رأى السيوطى فيما قاله القرطبى :

قلت : استدلاله على عدم تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس فى غاية الحسن ؛ ولهذا حكم بكون الصلاة أداء ، وإلا لم يكن لرجوعها فائدة ، إذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب !

---

(١) ذكر السيوطى فى الدرر المنتثرة : «إن الشمس ردّت على عَلىّ بن أبى طالب» ثم قال :
قال أحمد : لا أصل له . قلت : أخرجه ابن منده ، وابن شاهين من حديث أبى هريرة وإسنادهما حسن . وممن صححه الطحاوى والقاضى عياض . وقد ادعى ابن الجوزى أنه موضوع فأخطأ ، كما بينته فى مختصر الموضوعات وفى التعقبات .

(٢) كما تشير إليه الآية ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم .. الخ﴾

استدلال أوضح منه :

وقد ظفرت باستدلال أوضح منه وهو :

ما ورد «أن أصحاب الكهف ، يُبعثون فى آخر الزمان ، ويَحُجّون ، ويكونون من هذه الأمة ؛ تشريفا لهم بذلك . وورد عن ابن عباس مرفوعا «أصحاب الكهف أعوان المهدى» [أخرجه ابن مردويه فى تفسيره] فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم من الموت . ولا بدع فى أن يكون الله تعالى كتب لأبوى النبى ﷺ عُمْراً ، ثم قبضهما قبل استيفائه ، ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية ، وآمنا فيها ، فيعتد به ، ويكون تأخير تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما ؛ لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم به نبيه ﷺ ، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ، ليحوزوا شرف الدخول فى هذه الأمة .

رأى السيوطى فيما قاله ابن دحية :

ثم إن تعليل ابن دحية للحديث بمخالفةِ ظاهر القرآن — ليس على طريقة أهل الحديث[1] .

فقد ذكر الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدسى فى كتابه «الانتصار» تعليل ابن حزم[2] لحديث الإسراء الذى أخرجه البخارى ، وحكمه عليه بأنه «موضوع» لمخالفته ما ثبت فى أحاديث الإسراء الصحيحة **ثم تعقبه** بأن قال : إن «ابن حزم» — وإن كان إماماً فى علوم شتى — إلا أنه لم يسلك طريق الحفاظ فى تعليل الحديث .

---

(١) الحديث «المُعَلّ» ويسمى «المعلول» كما وقع فى عبارة البخارى والترمذى والحاكم وهو الحديث الذى اكتشفت فيه علة تقدح فى صحته ، وإن كان يبدو فى الظاهر سليما من العلل . والطريق إلى معرفة المعَلّ جمع طرق الحديث ، والنظر فى اختلاف رواته وضبطهم وإتقانهم . والأجود فيه أن يقال مُعَلّ لأنه مفعول أعَلّ قياساً وأما معلل فهو مفعول علل والتعليل بمعنى الإلهاء بالشىء وشغله ، وليس هذا الفعل بمستعمل فى كلامهم . انظر تدريب الراوى للسيوطى : ٨٨ .

(٢) أبو بكر بن حزم : هو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، نسب إلى جد أبيه ، وأبو بكر فقيه ، استعمله عمر بن عبد العزيز على إمْرَة المدينة وقضائها ، ولهذا كتب إليه يقول : «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه ، فإنى خفت دروس العلم (أى ذهابه) ، وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبى» .

وذلك أن الحُفّاظ إنما يعللون الحديث من طريق الإسناد الذى هو المِرقاة إليه ، وهذا الرجل علله من حيث اللفظ .

(انتهى)

الرأى فى حديث «ليت شعرى .. الخ» :

وأما حديث «ليت شعرى ما فعل أبواى» فإنه مُعْضَلٌ ضَعِيفٌ لا تقوم به حُجّة[1] .

• وقال الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس فى سيرته[2] : بعد أن ذكر رواية ابن إسحاق[3] فى أن أبا طالب أسلم عند الموت ما نصه :

وقد روى «أن عبد الله بن عبد المطلب ، وآمنة بنت وهب أبوى النبى ﷺ أسلما أيضاً ، وأن الله أحياهما له ، فآمنا به» .

وروى ذلك أيضاً فى حق جَدّه عبد المطلب .

قال : وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبى رَزِين العَقِيلى[4] قال : «قلت يارسول

---

(١) المُعْضَل (بفتح الضاد) هو الذى سقط من سلسلة إسناده راويان متتاليان فأكثر ، وقد أشرنا إلى تدرج مراتب الضعف تبعا للثغرات التى حدثت فى الحديث ويأتى المعضل فى المرتبة الثالثة من مراتب عشر للحديث الضعيف . و ليت شعرى معناها : ليتنى أعلم .

(٢) هو أبو الفتح بن محمد بن محمد بن أحمد ، المشهور بابن سيد الناس اليعمرى الأندلسى الأصل ، المصرى الشافعى . أحد أعلام الحفاظ . توفى سنة ٧٣٤ . له (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير) وهو الذى أشار إليه المؤلف ونقل عنه .

(٣) كان ابن إسحاق من بين أعلام القرن الثانى ، وكان له علمه الواسع ، واطلاعه الغزير فى أخبار الماضين ، وقد جمع ابن هشام مجهود ابن إسحاق فى السيرة وراح يدون سيرته هو وتعقب ابن إسحاق بالتحرير والاختصار والنقد ، هذا إلى تكملة أضافها وأخبار أتى بها ، وقال صاحب الأعلام: أحمد بن إسحاق ، عالم بالأدب والسير ، له اشتغال بالتفسير والحديث وله كتب عدة توفى سنة ٣١٨ هـ/ ٩٣٠ م (الأعلام ١/ ٩١) .

(٤) لما أخرجه أحمد عن ابن رزين العقيلى .. أما أحمد فهو : أحمد بن حنبل . إمام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة . أصله من مرو ، وكان والده والى سرخس . ولد أحمد ببغداد سنة ١٦٤ هـ/ ٧٨٠ م ، ونشأ منكباً على طلب العلم ، وسافر فى سبيله إلى معظم البلاد الإسلامية صنف «المسند» وكتبا أخرى ، وسجن ثمانية وعشرين شهرا لامتناعه عن القول بخلق القرآن ، وكان ذلك فى عهد المعتصم والواثق ، ولما ولى المتوكل أطلق سراح ابن حنبل من السجن ، وأكرمه إكراما، وتوفى سنة ٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م (الأعلام ١/ ١٩٢) .

وأما أبو رَزين العقيلى فهو لقيط بن عامر قال فى الإصابة : روى عنه ابن أخيه وكيع بن عُدُس ، وعبد الله ابن حاجب ، وعمرو بن أوس الثقفى . والحديث فى مسند أحمد (٤/ ١١) .

الله أين أمي ؟ قال أمك فى النار . قلت : فأين من مَضىٰ من أهلك ؟ قال : أما ترضى أن تكون أمك مع أمى ؟! » .

الجمع بين هذه الروايات كما يراه ابن سيد الناس :

قال : وذكر بعض أهل العلم فى الجمع بين هذه الروايات ما حاصله .

أن النبى ﷺ لم يزل راقياً فى المقامات السنية ، صاعداً فى الدرجات العليا إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه ، وأزلفه[1] بما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له ﷺ بعد أن لم تكن ، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض

« انتهى »

رأى العلامة ابن حجر وهو إمام الحفاظ :

هذا كله كلامى على هذا الحديث بنقدى من غير أن أطلع على كلام إمام الحفاظ أبى الفضل بن حجر[2] فوجدته ساق كلام « الميزان » فى ترجمة « عبد الوهاب » بلفظه ، ثم قال ما نصه : قلت : تكلم الذهبى فى هذا الموضع بالظن ؛ فسكت عن المتهم بهذا الحديث ، وجزم بجرح البرىء .

وقد قال الدارقطنى فى « غرائب مالك » ما نصه : ويُروى عن مالك ، عن أبى الزناد ، عن هشام ، عن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة حديثان مُنْكَران[3] ، باطلان : فذكر « هذا الحديث » من طريق على بن أحمد الكعبى عن أبى غُزَيَّةَ .

ثم قال : وهذا كذب على مالك ، والحمل فيه على أبى غزية ، والمتهم به هو ، أو من حَدَّث عنه ، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس .

---

(١) أزلفه : قربه منه .

(٢) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على الكنانى العسقلانى المصرى ، إمام الحفاظ فى زمانه ، وقاضى القضاة ، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وعانى الأدب وعلم الشعر أولاً ، فبلغ فيه الغاية ، ثم طلب الحديث ، فسمع الكثير ، وبرع فيه وتقدم فى جميع فنونه ، وانتهت إليه الرياسة فى الحديث ، وألف كتباً كثيرة كشرح البخارى . وتقريب التهذيب توفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة .

(٣) الحديث المنكر (بفتح الكاف) هو الذى لا يُعرفُ مَتْنُه إلا من راوٍ واحد بعيد عن الضبط .

ثم قال الحافظ بن حجر : وأخرج «ابن الجوزى» فى «الموضوعات» من طريق عمر بن الربيع الزاهد : ثنا على بن أيوب الكعبى حدثنى محمد بن يحيى أبو غزية الزّهرى عن عبد الوهاب بن موسى : فذكر الحديث مطولا .

ثم ساقه من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش[1] المفسر قال : ثنا أحمد بن يحيى ثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب .

ثم قال «ابن الجوزى» : النقاش ليس بثقة ، وأحمد بن يحيى ثنا محمد بن يحيى مجهولان . قال الحافظ بن حجر : فأما قوله : على بن أيوب الكعبى ، فوافقه ابن عساكر عليه ؛ لما أخرج هذا الحديث بطوله كما سيأتى فى ترجمة عمر بن الربيع . وسمى الدارقطنى أباه أحمد .

وأما محمد بن يحيى فليس بمجهول ؛ بل هو معروف له ترجمة جيدة فى «تاريخ مصر» لأبى سعيد بن يونس ، ورماه الدارقطنى بالوضع ، وهو أبو غزية محمد بن يحيى الزهرى ، وسيأتى ذكره فى موضعه .

وأما أحمد بن يحيى فلم يظهر من سند النقاش ما يتميز به فى طبقته جماعة كل منهم أحمد بن يحيى أقربهم إلى هذا السند أحمد بن يحيى بن زكريا فإنه مصرى وعلى بن أيوب الكعبى مصرى كما قال الدارقطنى .

وقد ذكر الخطيب : «عبد الوهاب بن موسى» صاحب الترجمة فى الرواة عن مالك وكنّاه «أبا العباس» ونسبه «زهريا» وأورد له من طريق سعيد بن أبى مريم عنه عن مالك عن عبد الله بن دينار أثراً موقوفا[2] على عمر فى قصة له ، مع كعب

---

(١) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلى ثم البغدادى أبو بكر النقاش وردت ترجمته فى كتب الطبقات وفى إرشاد الأريب ٤٩٦/٦.مقرىء مفسر كان إمام أهل العراق فى القراءات والتفسير . ضعفه جماعة . قال البرقانى : كل حديث النقاش منكر . وقال الخطيب : فى حديثه مناكير بأسانيد مشهورة ، وقال الذهبى : متروك ليس بثقة .

(٢) المختار فى تعريف الموقوف : أنه ما يروى عن الصحابى من قول أو فعل ونحوه ، ولا يتجاوز بالمروى إلى الرسول سواء أكان متصلا أم منقطعا ، وسواء أكانت النسبة صحيحة أم غير صحيحة . ولم يخالف فى هذا التعريف إلا الحاكم ، فقد شرط صحة النسبة ، واتصال السند حيث شرح الموقوف بقوله : «أن يروى الحديث إلى الصحابى من غير إرسال ، ولا إعضال ، فإذا بلغ الصحابى قال : الراوى : إنه كان يقول كذا وكذا ، وكان يفعل كذا وكذا ، وكان يأمر بكذا وكذا .

الأحبار[١] ، وقال : إنه تفرّد به ، ولم يذكر فيه جَرحاً .

وأورده «الدارقطنى» فى «الغرائب» من هذا الوجه ، وقال : هذا صحيح عن مالك[٢] ، وعبد الوهاب بن موسى ثقة ، وممن دونه كذلك .

ونقل ابن الجوزى عن شيخه محمد بن ناصر : أن هذا الحديث «موضوع» ؛ لأن قبر آمنة بالأبواء كما ثبت فى الصحيح ، وأبو غزية هذا زعم أنه «بالحَجُون» وسبق «ابن الجوزى» إلى الحكم بوضعه ومعارضته بحديث «بُرَيْدة الجوزقانى» فى كتاب «الأباطيل» وسيأتى فى ترجمة عمر بن الربيع زيادة فى الكلام على حديث أبى غزية عن عبد الوهاب بن موسى . هذا كله كلام «لسان الميزان» فى ترجمة عبد الوهاب .

وقوله فى أحمد بن يحيى : إنه لم يظهر من سند «النقاش» ما يتميز به .

يقال عليه : قد ظهر من السند الذى ساقه ابن شاهين فى «الناسخ والمنسوخ» عنه ما يُمَيِّز به حيث نسبه الحضرمى .

وقال فى «لسان الميزان» فى ترجمة «أبى غزية» : هو «أبو غزية» الصغير زهرى كان بمصر روى عنه جماعة منهم .

وقد ذكره أبو سعيد بن يونس فى «الغرباء» ونسبه فقال : محمد بن يحيى بن محمد ابن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف أبو عبد الله ، ولقبه أبو غزية مدنى قدم مصر وله كنيتان .

وذكر فى من روى عنه إسحاق بن إبراهيم الكباس وزكريا بن يحيى البغوى ، وسهل بن سوادة الغافقى ، ومحمد بن فيروز ، ومحمد بن عبد الله بن حكيم قال : ومات فى يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين .

---

(١) كعب الأحبار من اليهود الذين أسلموا ونشروا تفاسير المفسرين للتوراة وما أحاط بها من أساطير وخرافات وهو كعب بن ماتع من اليمن ، أسلم فى خلافة أبى بكر أو عمر على خلاف فى ذلك وانتقل بعد إسلامه إلى المدينة ثم إلى الشام ، وقد أخذ عنه اثنان ، هما أكبر من نشر علمه : ابن عباس وهذا يعلل ما فى تفسيره من إسرائيليات — وأبو هريرة .

(٢) مالك : إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة . وهو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الراجح ، وكان أبوه أنس راوية للحديث ، وأخذ مالك عن الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى وهو أول من دون الحديث وكذلك روى مالك عن نافع مولى ابن عمر .

وقال الدارقطنى : فى «غرائب مالك» : «ثنا أبو بكر الحباس المصرى ، ثنا محمد ابن عبد الله بن حكيم بمصر ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهرى ، ثنا عبد الوهاب بن موسى ، حدثنى مالك عن ابن شهاب ، حدثنى سعيد بن المسيب ، حدثنى عبد الله ابن عمر لما ولى علىٌّ ، فذكر قصة فيها فقال علىٌّ : إن أبا بكر سبقنى إلى أربع» الحديث .

قال الدارقطنى : لا يثبت عن الزهرى ولا عن مالك .

وأبو غزية هذا هو الصغير «منكر الحديث» .

ثم أورد من طريق عليل بن أحمد قال : «وكان ثِقةً» ثنا أبو غزية محمد بن يحيى حدثنى أبو العباس عبد الوهاب بن موسى بهذا السند إلى ابن عمر رفعه إليه مندمة — أو مأثمة — وقال : لا يصح هذا عن مالك ، ولا عن الزّهرى ، والحمل فيه على «أبو غزية» . (انتهى)

وأما «أبو غزية الكبير ، فهو محمد بن موسى الأنصارى المدنى القاضى يروى عن مالك وفليح بن سليمان ، وعن إبراهيم بن المنذر ، والزهير بن بكار ، وعمر بن محمد ابن فليح ، وطائفة .

ضعّفه البخارى[1] ، وابن حبّان[2] ، وابن أبى حاتم[3] ، والعقيلى[4] ، وابن عدى[5] ، ووثقه الحاكم مات سنة سبع ومائتين .

---

(١) من المؤلفين فى الرواة الضعفاء والمتروكين : البخارى ، والنسائى ، والعقيلى ، وابن الجوزى ، وابن عدى ، والذهبى صاحب «ميزان الاعتدال» وإليك بياناً بمن أشار المصنف إليهم على الترتيب :

البخارى : هو محمد بن إسماعيل البخارى . حَبْر الإسلام ، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ . صاحب الجامع الصحيح ، المعروف بصحيح البخارى ، وكتاب «التاريخ» وكتاب «الضعفاء» فى رجال الحديث ، و «الأدب المفرد» ، ولد فى بخارى سنة ١٩٤ هـ/ ٨١٠ م ونشأ يتيما ، وقام برحلة طويلة فى طلب الحديث وجمع نحو ستمائة ألف حديث . اختار منها فى صحيحه ما وثق برواته — وكتابه هذا يأتى فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم . توفى سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م الأعلام (٦/ ٢٥٩) .

(٢) أما ابن حبان : فهو محمد بن حبان البستى ، مؤرخ ، علامة ، محدّث . ولد فى خراسان ، وتنقل بين الأقطار ، وهو مكثر من التأليف فى الحديث وعلومه ، توفى سنة ٣٥٤/ ٩٦٥ م (الأعلام ٦/ ٣٠٦) .

(٣) من العلماء الذين كتبوا فى علم علل الحديث ابن أبى حاتم ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبى حاتم الحنظلى الرازى ، حافظ الرّى ، وابن حافظها ، بحر العلم . توفى سنة (٣٢٧ هـ/ ٩٣٨ م) .

(٤) العقيلى : محمد بن عمرو بن موسى العقيلى . حافظ كبير ، ذو تصانيف ، من الثقات . توفى سنة ٣٢٣ هـ/ ٩٣٥ م (الرسالة المستطرفة ص ١٤٤) .

(٥) ابن عدى : أحمد بن عبد الله بن عدى الجرجانى ، حافظ كبير . أحد الجهابذة المرجوع إليهم فى العلل والرجال . توفى سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٦ م (الرسالة المستطرفة ص ١٤٥) .

ترجمة على بن أحمد :

وقال فى ترجمة «على بن أحمد الكعبى» : مصرى مُتَّهم ! روى عن أبى غزية ، عن عبد الوهاب بن موسى ، عن مالك عن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة حديثين :

أحدهما : «أن النبى ﷺ لما حج مر بقبر أمه آمنة فسأل الله عز وجل فأحياها فآمنت به فردها إلى حُفْرتِها» .

والثانى : بهذا الإسناد «أن النبى ﷺ كان ينقل الحِجارة للبيت عُرْيانا ، فجاءه جبريل وميكائيل فوارياه[1] ، وطفقا[2] يحملان الحجارة عنه شفقة ، من الله عليه» قال الدارقطنى : و «الإسناد» و «المتنان» باطلان ، ولا يصح لأبى الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شئ .

وهذا كذب على مالك ، والحمل فيه على أبى غزية . والمتهم بوضعه هو ، ومن حدث به عنه .

وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس[3] .

وقال فى ترجمة على بن أيوب الكعبى بعد أن ساق قول الميزان : «لا يكاد يُعرف !» .

قلت : قد عرفه الدارقطنى ، وسمّاه على بن أحمد .

وقال فى ترجمة «عمر بن الربيع» بن سليمان بن طالب الخشاب — بعد أن ساق قول الذهبى — : ذكره القراب فى تاريخه وأنه كذاب ، ما نصه .

وضعفه الدارقطنى فى «غرائب مالك» وقال «مسلمة بن قاسم» : تكلم فيه قوم ، ووثقه آخرون ، وكان كثير الحديث ، توفى سنة أربعين وثلاثمائة بمصر .

وأورد له ابن عساكر فى «غرائب مالك» من طريق الحسين بن على بن محمد بن إسحاق الحلبى ثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخَشّاب ثنا على بن أيوب الكعبى ، من

---

(1) وارياه :ستراه .

(2) طَفِقَا يحملان : شرعا فى حمل الحجارة .

(3) فلان لا بأس به أو ليس به بأس من الصيّغ الدالة على التعديل وتأتى هذه الصفة فى المرتبة الرابعة لتحدد درجة المروى .

ولد كعب بن مالك ، حدثنى محمد بن يحيى الزّهرى أبو غزية ، حدثنى عبد الوهاب ابن موسى ، حدثنى مالك عن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : «حج بنا رسول الله ﷺ فى حَجّة الوداع ...» فذكر الحديث .. كما تقدم من طريق الخطيب سواء .

رأى ابن عساكر فيه :

قال ابن عساكر : «هذا حديث منكر»[1] من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهرى المدنى ، عن مالك .

و «الكعبى» مجهول ، والحلبى صاحب غرائب .

ولا يعرف لأبى الزناد رواية عن هشام . وهشام لم يدرك عائشة ؛ فلعله سقط من كتابه : عن أبيه .

(انتهى)

قال الحافظ بن حجر : ولم ينبه على عمر بن عبد العزيز الربيع ، ولا على محمد بن يحيى ، وهما أولى أنه يلصق بهما هذا الحديث من «الكعبى» وغيره .

وقد تقدم ذلك فى ترجمة «عبد الوهاب بن موسى» . وفيه إثبات قوله عن أبيه التى ظن أنها سقطت فهو كما ظن .

(انتهى)

وقفة تلخيصيـة :

هذا مجموع كلام الحافظ فى لسان الميزان[2] فيما يتعلق بهذا الحديث ورجاله . وقد تلخص لى منه ومما قدمته :

---

(١) الحديث من طريق الثقة يسمى معروفاً ، ومن طريق غيره يسمى منكراً ؛ وعلى ذلك ، فالحديث المعروف هو ما رواه الراجح «الثقة» مخالفاً المرجوح «غير الثقة» . والحديث المنكر هو ما رواه المرجوح مخالفاً للراجح .

(٢) لسان الميزان لابن حجر حاول فيه نسخ ميزان الاعتدال فطال عليه فحذف منه من أخرج له الأئمة الستة أما ميزان الاعتدال : كتاب أساسى فى تاريخ الرواة ، وأحوالهم ، وتراجمهم : سلك فيه الحافظ الذهبى مسلك ابن عدى فى ذكر كل من تكلم فيه ، وإن كان ثقة ، وأتى فى بعض تراجمه أيضاً بحديث أو أكثر من غرائب صاحب الترجمة . ومناكيره .

أن الحديث «غير موضوع قطعاً» .

وبيان ذلك : أنه ليس فى روايته من أُجْمِع على جَرحه ؛ فإن مدار الحديث على «أبى غزية عن عبد الوهاب» ، وعبد الوهاب وثقه الدارقطنى فى موضعين :

فقال فى موضع : ثقة . وفى موضع :ليس به بأس .

وأقره الحافظ بن حجر ، ولم يُنْقَل عن أحدٍ فيه جَرحٌ .

ومن فوقه مِنْ مالكٍ فصاعدا لا يُسأل عنهم بجلالتهم .

والساقط بين هشام وعائشة وعروة قد ثبت فى طريق آخر .

وأبو غزية قال فيه الدارقطنى «منكر الحديث» .

وقال ابن الجوزى «مجهول»[1] .

وترجمةُ ابن يونس ترجمة جيدة أخرجته عن حد الجهالة .

والكعبى ــ وأكثر ما قيل فيه ــ مجهول وقد عرف .

وعمر بن الربيع نقل بمسلمة توثيقه عن آخرين ، وأنه كان كثير الحديث .

فهذا الطريق بهذا الاعتبار ضعيف لا موضوع على مقتضى الصنعة ، فكيف وله متابع أجود منه . وهو طريق أحمد بن يحيى الحضرمى عن أبى غزية ؛ فإن هذا الطريق أجود من حيث إن طريق الكعبى فيها رجال على الولاء تكلم فيهم الحلبى ، وعمر بن الربيع ، والكعبى ، والحضرمى لم يتكلم فيه إلا بالجهالة حيث اقتصر فيه على أحمد بن يحيى ، وقد عرف لما نسب «باللين» ، وهى من ألفاظ التعديل الذى يحكم بحديث صاحبه بالحسن .

فالحديث إذن من إفراد أبى غزية ومداره عليه .

وحُكْمُ ابن عساكر على هذا الحديث بأنه «مُنكر» حُجَّةٌ لما قلته : من أنه «ضعيف» ، لا «موضوع» ، لأن المنكر من قسيم الضعيف ، وبينه وبين «الموضوع» فرق كما هو معروف فى فن الحديث[2] .

---

(١) الوصف بالجهالة يقع فى أول مراتب الجرح .

(٢) لكى يتبين لنا الفرق يستحسن أن نستعيد ما قاله علماء الحديث عن :

المنكر : بفتح الكاف هو الذى لا يُعْرف مَتْنه إلا من راوٍ واحد بعيد عن الضبط .

الضعيف : هو الذى لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا صفات الحديث الحسن ؛ فهو أدنى فى سنده من رتبة الصحيح والحسن ، أو وجد فيه علة قادحة .

وأقوى ما اعتمد عليه فى هذا الحديث قول « ابن عساكر » : فإن أكثر ما قيل فى رواية « أبى غزية » أنه « منكر الحديث » ، فيكون حديثه الذى تفرد به « منكراً » .

وضابط المنكر : « أنه الذى يتفرد به الراوى الضعيف مخالفاً لرواية الثقات » .

وهذا الحديث كذلك أى سلم مخالفته لحديث الزيارة ونحوه ؛ فإن انتفت المخالفة ، كان ضعيفا فقط ، وهى مرتبة فوق « المنكر » أصلح حالاً منه ودون « المنكر » مرتبة أسوأ حالا منه وهى مرتبة « المتروك » و« المتروك » أيضا من قسم « الضعيف » الذى ليس بموضوع .

= الموضوع : ليس حديثا فى الواقع ، لكن العلماء أطلقوا عليه — فى أول الأمر — اسم الحديث ، وبعد دراسته متنا وسندا تبين لهم وضعه ، فأخرجوه من زمرة الحديث . وما تسميتهم له باسم « الحديث » إلا باعتبار ما كان قبل فحصه ودراسته . أما بعد ذلك فهو خارج عن هذه التسمية ، ويحرم نقله وروايته .

دراسة علمية لحديث الزيارة

◉ فصل فى حديث الزيارة

بمّ حكم عليه الإمام الذهبى ؟ وما رأى الحافظ بن حجر فيه ؟ :

حديث الزيارة الذى حكم الذهبى بصحته لم يخرجه أحد من الأئمة الستة . بل أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وأحمد من حديث بريدة .

والطبرانى[1] من حديث ابن عباس .

وأشار الحافظ بن حجر فى شرح البخارى إلى أن من حكم بصحته ، فليس لكونه صحيحاً لذاته ، بل لوروده من هذه الطرق[2] .

وقد تأملت طرق الحديث فوجدتها كلها معلولة[3] ولله الحمد .

حديث ابن مسعود :

فأما حديث ابن مسعود فأخرجه الحاكم من طريق أيوب بن هانى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود قال :

« خرج رسول الله ﷺ ينظر فى المقابر وخرجنا معه ، فأمرنا فجلسنا ، ثم تخطى القبور ، ثم ارتفع نَحِيبُه[4] باكياً ؛ فبكينا لبكائه ثم أقبل إلينا فتلقّاه عمر ، فقال يارسول الله : ما الذى أبكاك ؟ لقد أبكانا وأفزعنا ! فجاء فجلس إلينا فقال : أفزعكم بكائى ؟ قلنا : نعم . قال : إن القبر الذى رأيتمونى أناجى فيه قبر آمنة بنت وهب وإنى استأذنت ربى فى زيارتها ، فأذن لى فاستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فيه ، ونزل

---

(١) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد الشامى اللخمى ، صاحب [١] المعجم الكبير [٢] والمعجم الأوسط [٣] والمعجم الصغير ، ولد عام ٢٦٠ هـ وتوفى فى ذى القعدة عام ٣٦٠ .

(٢) ينبغى أن نستعيد ما قيل فى أقسام الحديث الصحيح : فهناك الصحيح لذاته : وهو ما اشتمل من صفات القبول على أعلاها .

والصحيح لغيره : وهو ما صحح لأمر أجنبى عنه كأن يكون رواته مشهورين بالعدالة والضبط ، إلا أنهم أدنى رتبة من رجال الصحيح لذاته ، فهذا الحديث فى أصله يسمى «الحسن» فإذا روى الحديث من وجه آخر ، ارتقى بهذه الرواية من درجة الحسن إلى درجة الصحة ؛ ولهذا سمى بالصحيح لغيره .

(٣) أى هناك من الأسباب ما يطعن فى صحتها .

(٤) أعلن بالبكاء .

عليّ : ﴿ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾[1] الآيتان فأخذنى ما يأخذ الولد للوالدة من الرّقة ، فذلك الذى أبكانى » قال الحاكم : هذا حديث صحيح .

وتعقبه « الذهبى » فى « مختصر المستدرك » فقال : قلت : « أيوب بن هانىء» ضعّفه ابن مُعِين .

(انتهى)

فهذه عِلّة تَقْدحُ فى صحته .

والعجب من الذهبى كيف يصحح الحديث فى الميزان اعتماداً على تصحيح الحاكم ثم يخالفه فى « مختصر المستدرك » ؟!

وللحديث علة ثانية : وهو مخالفته لما فى « صحيح البخارى » وغيره : من أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت « أبى طالب » واستغفار النبى ﷺ له ، ووردت أحاديث أُخَر فى الترمذى وغيره فيها نزول الآية على سبب غير قصة آمنة .

فإن كان الذهبى رد حديث الإحياء لمخالفته هذا الحديث ، فهذا الحديث يرد لمخالفته المقطوع بصحته فى صحيح البخارى وغيره .

حديث ابن عباس له علتان :

وأما حديث ابن عباس فأخرجه الطبرانى ولفظه : « إن النبى ﷺ لما أقبل من غزوه واعتمر ، هبط من ثَنِيّة[2] عُسْفَان ، فنزل على قَبْر أمه » .. وذكر نحو حديث[3] ابن مسعود وفيه نزول الآية .

له علتان : مخالفة الحديث الصحيح كما سبق .

وإسناده ضعيف .

---

(١) التوبة : ١١٣ ، ١١٤ . وانظر الحديث فى المستدرك (٣٣٦/٢) ، ودلائل النبوة للبيهقى ١٨٩/١

(٢) الثنية : الطريق فى الجبل ، وعسفان كعثمان على مرحلتين من مكة .

(٣) إذا روى راوٍ حديثا ، وروى راوٍ آخر حديثا موافقاً له يسمى هذا الحديث متابعًا (بصيغة اسم الفاعل) .

فإن كانت الموافقة فى المعنى دون اللفظ يقال : « نحوه » ويشترط فى المتابعة أن يكون الحديثان من صحابى واحد ، وإن كانا من صحابيين يقال له « شاهد » كما نقول مثلا : له شاهد من حديث أبى هريرة . ويقال له شواهد . ويشهد به حديث فلان .

وبعضهم يخصون المتابعة بالموافقة فى اللفظ ، والشاهد فى المعنى سواء من صحابى واحد أو من صحابيين .

حديث بريدة :

وأما حديث بريدة فأخرجه ابن سعد ، وابن شاهين بلفظ : «لما فتح رسولُ الله ﷺ مكة أتى جِذْمَ[1] قبر فجلس إليه» وذكر نحوه .

وفى لفظ لابن جرير وابن شاهين من طريقه : «لما قدم مكة أتى رسم قبر» .

وعن ابن جرير من وجه آخر : «لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يُؤْذَنَ له فيستغفرَ لها فنزلت» . وفى هذا الحديث : من علة المخالفة لما تقدم ، وله علة أخرى .

قال ابن سعد فى الطبقات بعد تخريجه : هذا غلط ، وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء[2] .

(انتهى)

خلاصـــة

فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معلولة خصوصاً قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار ؛ لأنه لا يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الصحيحة فى تقدم نزولها فى قصة أبى طالب وغيره .

أصحّ طرق هذا الحديث :

وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين[3] عن بريدة : «أن النبى ﷺ زار قبر أمه فى ألف مقنع[4] فما رُئِىَ أكثر باكيا من ذلك اليوم» **هذا القدر لا علة له ، وليس فيه مخالفة لشىء من الأحاديث ولا نهى عن الاستغفار** .

وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التى تحصل عن زيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه .

هذا ما فتح الله بتحريره فى هذا المحل ولله الحمد .

---

(١) قال فى المعجم الوسيط : الجذم : الأصل ، وجذم الحائط بقيته . والرسم ما بقى من آثار الشىء .

(٢) وقد أشرنا إلى ذلك من قبل ، وبينا أن هذا الرأى هو الصحيح . وانظر الطبقات ١ :١١٧ .

(٣) اشترط البخارى فى إخراج الحديث شرطين : أحدهما معاصرة الراوى لشيخه ، والثانى ثبوت سماعه ، بينما اكتفى مسلم بشرط المعاصرة اختصار علوم الحديث .

(٤) المقنع : المغطى بالسلاح انظر المستدرك (٦٠٥/٢) .

◉ فصــــــــل
الدليل الثانى على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار

حديث الإحياء بين من حكموا بوضعه ومن حكمـوا بضعفه ! وترجيـح السيوطى للفرقة الثانية :

حاصل ما تقرر فى حديث الإحياء :

أن الذين حكموا بوضعه من الأئمة : الدارقطنى والجوزقانى ، وابن ناصر ، وابن الجوزى[1] وابن دحية ، والذهبى .

والذين حكموا بضعفه فقط ، وأنه غير موضوع : ابن شاهين ، والخطيب ، وابن عساكر ، والسُّهَيْلى[2] ، والقرطبى ، والمحب الطبرى ، وابن سيّد الناس .

ووجه أخذه من كلام ابن شاهين : أنه أورده على أنه ناسخ لحديث الزيارة فلو كان عنده موضوعاً لم يصلح أن يُحْتج به على النسخ .

علل من حكموا بالوضع غير مؤثرة :

وقد نظرنا بحسب النقد : فوجدنا العلل التى علل بها الفرقة الأولى كلها غير مؤثرة ؛ فلذلك رجحنا قول الفرقة الثانية[3] ولله الحمد .

---

(١) يقول الدكتور صبحى الصالح فى كتابه : « علوم الحديث ومصطلحاته »: واشهر الكتب فى بيان الأحاديث المختلقة « كتابُ الموضوعات » لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى أخذ أكثره من كتاب « الأباطيل » للجوزقانى وكان هذا الأخير يحكم بالوضع على كل حديث يخالف السنة النبوية فعلا أو تركاً وهكذا حكم ابن الجوزى بالوضع على بعض الصحاح والحسان .

(٢) السُّهيلى صاحب الروض الأنف على سيرة ابن هشام .

(٣) وهى الفرقة التى حكمت بضعفه ، وأنه غير موضوع .

وقد وافق على ما قلته من أن الحديث ضعيف لا موضوع : الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدين محدث دمشق ، من المتأخرين ؛ فإنه أورد الحديث من طريق الخطيب فى كتابه المسمى «مورد الصادى فى مولد الهادى» وأنشد عقبه :

حَبَا اللهُ النبىّ مَزيدَ فَضْلٍ على فضلٍ وكانَ بِهِ رَءُوفَا[1]
فأحيا أُمَّـهُ وكـذا أَبَـاهُ لإيمانٍ به فَضْلاً لَطيفَـا
فسَلِّمْ فالقديمُ بذا قديـرٌ وإن كان الحديثُ به ضَعِيفَا[2]



(١) حباه : أعطاه . والصادى العطشان .
(٢) ويكاد معظم العلماء يرون العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ، والمواعظ ، والترغيب والترهيب كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

◉ فصــــل
الدليل على أنها ماتت وهى موحدة

هذا كله فيما يتعلق بإحيائها وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهى مُوَحِّدة :

أخرج أبو نُعَيْم فى «دلائل النبوة» من طريق الزّهرى عن أم سماعة بنت أبى رهم عن أمها قالت :

شهِدْتُ آمنةَ أمَّ رسول الله ﷺ فى عِلَّتِها التىْ ماتت فيها[1] ، ومحمدٌ غُلامٌ يَفَعٌ[2] له خمس سنين[3] عِند رأسها فنظَرتْ إلى وجهه ثم قالت :

بارَكَ فيك اللهُ من غُلامِ ... يابنَ الّذى مِن حُرْمَة الحِمامِ[4]
نَجَا بعونِ الملكِ المِنعامِ ... فُودِى غداة الضربِ بالسِّهامِ
بمائـةٍ من إبـلٍ سَوَامِ ... إن صحّ ما أبصَرْتُ فى المَنام[5]
فأنت مبعوثٌ إلى الأنامِ ... من عند ذى الجلال والإكرامِ
تُبْعَثُ فى الحلِّ وفى الحرام ... تبعث فى التحقيق والإسلام
دين أبيك البرِّ إبراهامِ ... فالله أنهاكَ عن الأصنامِ[6]
أن لا تواليها مع الأقوام

---

(١) علتها : مرض موتها .

(٢) يفَع : يقال يَفَع الغلام : شب وترعرع أو شارف الاحتلام ، وناهز البلوغ.واليافع : دون المراهق .

(٣) ويقول ابن هشام فى سيرته : «فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب» .
قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أم رسول الله ﷺ آمنة توفيت ورسول الله ﷺ ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت على أخواله من بنى عدى ابن النجار ، تزيره إياهم ، فماتت وهى راجعة إلى مكة .
ويقال : إن قبر آمنة بنت وهب فى شِعب أبى ذر بمكة . (راجع الطبرى) وقد نقلنا لك من قبل الرأى فى هذا .

(٤) الحِمام بكسر الحاء : الموت .

(٥) تشير إلى نذر عبد المطلب تنفيذاً لرؤيا رآها والإشارة عليه بدفع الدية مائة من الإبل السائمة فداء لعبد الله بعد أن وقعت السهام عليه عند ضربها لمعرفة من ينفذ فيه النذر بالذبح .

(٦) أنهاك : كفك ومنعك .

ثم قالت :

كل حَيٍّ مَيّت ، وكُلُّ جديدٍ بالٍ ، وكلُّ كريمٍ يَفْنَى ، وأنا مَيْتَةٌ ، وذكرى باقٍ ، وقد تركتُ خيراً ، وَوَلَدْتُ طُهراً !!

ثم ماتت ، فكنا نسمع نَوْحَ الجِنّ عليها فحفظنا من ذلك :

نبكي الفتاةَ البَرّةَ الأمينة ذاتَ الجمال والعفة الرزينة
زوجةَ عبدِ الله والقرينـة أمَّ نبيِّ اللهِ ذِي السكينة
وصاحبِ المِنْبَـر بالمدينـة صارت لدى حُفْرَتِها رهينة

هذا القول من أم النبى ﷺ صريح فى أنها مُوَحّدة إذْ ذكرت دينَ إبراهيم ، وبعْثَ ابنها صلى الله عليه وسلم بالإسلام ، من عِند ذى الجلال والإكرام ، ونهته عن الأصنام ، ومُوالاَتِها مَعَ الأقوام .

وهل التوحيد شيء غير هذا التوحيد .. الاعتراف بالله وإلهيّته ، وأنه لا شريك له ، والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها ، وهذا القدر كافٍ فى التبرّى من الكفر ، وثبوت صفة التوحيد فى الجاهلية ، قبل البعثة ، وإنما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة .

وقد قال العلماء فى حديث الذى أمر بنيه عند موته أن يحرقوه ، ويُسحقوه ، ويذروه فى الريح وقوله «لئن قدر الله علىّ ليعذبنى» وفى رواية «لعلى أضل الله»[1] : **إن هذه الكلمة لاتنافى الحكم بإيمانه ؛ لأنه لم يشك فى القدرة** ، ولكن جهل ، فظن أنه إذا فعل ذلك لا يُعاد .

ما يؤيد أنها تحَنّفَتْ فى حياتها :

ولا يظن بكل من كان فى الجاهلية أنه كان كافرا ، فقد كان جماعة تحَنّفُوا وتركوا ما كان عليه أهل الشرك ، وتمسكوا بدين إبراهيم ، وهو التوحيد كزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل فكلهم محكوم بإيمانه فى الحديث ، ومشهود له

---

(١) جاء فى مختار الصحاح للرازى فى مادة « ضَلّ » . وفى الحديث : « لعَلّى أَضِلُّ الله » يريد : أضل عنه : أى أخفى عليه من قوله تعالى : ﴿أئذا ضللنا فى الأرض﴾ أى خفينا . ثم قال : قلت أصل الحديث « أن بعض العصاة الخائفين قال لأهله : « إذا مِتّ فأحرقونى ، ثم ذرونى فى الريح لعلى أضل الله تعالى » .

بالجنة ، فلا بدْعَ أن تكون أم النبى ﷺ منهم ! كيف وأكثر من تحنّف إنما كان سبب تَحَنُّفِه ما سمعه من أهل الكتاب والكُهّان ، قُرْبَ زمنِه ﷺ من أنه قَرُبَ بعث نبىّ من الحرم صفته. كذا .

وأم النبى ﷺ سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها ، وشاهدت فى حَمْلِه ووِلادته من آياته الباهرة ما يحمل على التَحَنُّف ضرورةً ، ورأت النور الذى خرج منها أضاء له قصور الشام ، حتى رأتها كما ترى أمهات النبيين . وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شُقّ صدرُه وهى مذعورة : «أخشيتما عليه الشيطانَ ؟ كلاّ واللهِ ما للشيطانِ عليه سبيل ، وإنه لكائن لابنى هذا شأن» فى كلمات أُخَرَ من هذا النمط وقَدِمَت به المدينة عام وفاتها ، وسمعت كلام اليهودِ فيه وشهادتهم له بالنبوة ، ورجعت به إلى مكة ، فَماتت فى الطريق !

فهذا كله مما يؤيد أنها تَحَنَّفَت فى حياتها .



◉ فصـــــل

تســـاؤلات .. والإجابــة عنهـا !

فإن قلت : كيف قررت أنها كانت مُوَحِّدة فى حياتها ، ومتَحَنِّفَة ، وهذا الحديث فى «أنه استأذن فى الاستغفار لها فلم يؤذن له» . وقد فى الحديث الآخر : أمى «مَعَ أُمِّكُمَا» يُؤْذِنَانِ بخلاف ذلك ؟

وهَبْك[1] أجبت عنهما فيما يتعلق بحديث الإحياء : بأنهما متقدمان فى التاريخ ، وذاك متأخر ، فكان ناسخا . فما تقول فى هذا ؛ فإن الموت على التوحيد ينفى التعذيب أَلْبَتَّةَ ؟

قلت : أحسن ما تقرر به الجواب : أَنْ يُقال :

إن قوله : «أمى مع أمكما» صدر قبل ان يوحى إليه أنها من أهل الجنة كما قال ﷺ فى تُبَّع .

«لا أدرى تُبَّعًا ألعيناً كان أم لا»[2] ؟!

[أخرجه الحاكم وابن شاهين] من حديث أبى هريرة وقال ﷺ بعد أن أوحى إليه فى شأنه :

«لا تَسُبُّوا تُبَّعاً فإنه كان قد أسلم» .

[أخرجه ابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ أيضا] من حديث سهل بن سعد وابن عباس ، فكأنه ﷺ أَوّلاً لم يوحَ إليه فى شأنها شىء ، ولم يبلغْه القولُ الذى قالته عند موتِها ، ولا تَذَكّره ؛ فإنه كان إذ ذاك ابنَ خَمسٍ سنين ، فأُطلق القولَ «بأنها مع أمهما» جرياً على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى إليه أمرُها بعد ذاك .

---

(١) هبك : هَبْ أنك .. بوزن (دَعْ) بمعنى احسب ولا يستعمل منه ماض ولا مستقبل .

(٢) قال المسعودى : قيل لملوك اليمن تبابعة ؛ لأنه يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام آخر ، ولم يكونوا يسمون الملك منهم . بتبّع حتى يملك اليمن والشّحْر وحضر موت . ومن لم يكن له شئ من هذا يسمى ملكاً ولا يقال له تُبّع .. (لحمزة الأصفهانى) .

مــا يؤيــد ذلــك :

ويؤيد ذلك فى آخِر الحديث نفسِه: «**ما سألتهما ربى**» فهذا يدل على أنه لم يكن بعد قد وقعت بينه وبين ربه مراجعة فى أمرها ثم وقع بعد ذلك .

هل يلزم من عدم الإذن فى الاستغفار الكفر ؟!

وأما حديث «عدم الإذن فى الاستغفار» فلا يلزم منه الكفر ؛ بدليل أنه ﷺ كان ممنوعاً فى أول الإسلام من الصلاة على من عليه دَيْنٌ لم يترك له وفاء ، ومن الاستغفار له ، وهو من المسلمين .

وعلل ذلك بان استغفارَه مُجَابٌ على الفَوْر ، فمن استغفر له وصل عقب دعائه إلى منزله الكريم فى الجنة . والمديون محبوس عن مقامه حتى يُقْضَى دينُه .

كما ورد فى الحديث «**نفس المؤمن معلقةٌ بدَيْنِه حتى يُقْضَى عنه**»[1] فقد تكون أم النبى ﷺ مع كونها مُتَحَنِّفَة كانت محبوسة فى البرزخ عن الجنة ، لأمور أخرى غير الكفر ، اقتضت أن لا يؤذن له فى الاستغفار إذْ ذاك بسببها إلى أن أذن الله فيه بعد ذلك .

ويحتمل أن يُجَاب عن الحديثين :

بأنها كانت مُوَحِّدةً ، غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنُّشور ، وذلك أصل كبير ، فأحياها الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وبجميع مافى شريعته؛ ولذلك تأخر إحياؤها إلى حَجَّةِ الوَداع حتى تمت الشريعة ونزل ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾[2] فأُحْيِيَت حتى آمنت بجميع ما أُنْزِل عليه وهذا معنىً «نفيس بليغ» .

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذى وحسّنه عن أبى هريرة رفعه . وقال المناوى : إسناده صحيح . وقال : المراد إن استدانه فى فُضُولٍ أو فى مُحَرّم . انظر صحيح الجامع حديث رقم ٦٦٥٥ .

(٢) المائدة : ٣

◉ فصــــــــل
تأمــلات فــى أمــــهات الأنبيـــاء

قد تأملت بالاستقراء ؛ فوجدت جميع أمهات الأنبياء مؤمناتٍ ؛ فلا بِدعَ أن تكون أمُّ النبى ﷺ كذلك .

وبيان ذلك يكون بالتفصيل ، وبالإجمال :

البيـــــان :

أما التفصيل . فأم عيسى صلى الله عليه وسلم «مريم» صِدّيقَة[1] بنَصِّ القرآن ، بل ذهبت طائفة إلى أنها نبية ؛ لذكرها فى سورة الأنبياء مقترنةً بهم .

وأم إسحاق «سارة» مذكورة فى[2] القرآن .

وقيل أيضا : بنبوتها ؛ لخطاب الملائكة لها .

وأم موسى وهارون مذكورة أيضاً فى القرآن .

وقيل أيضاً : بنبوتها لقوله تعالى ﴿**وأوحينا إلى أم موسى**﴾[3] وأم شيث «حواء» أم البشر مذكورة فى القرآن .

وقيل أيضا بنبوتها .

ووردت الأحاديث والآثار بإيمان «هاجر» أم «إسماعيل» ، وأم «يعقوب» وأمهات أولاده ، وأم «داود» و «سليمان» و «زكريا» و «يحيى» و «شمويل» و «شمعون» و «ذى الكفل» .

ونص بعض المفسرين على إيمان «أم نوح» لقوله : ﴿**رَبِّ اغفر لى ولوالدىّ**﴾[4] .

---

(١) ﴿وأمه صديقة﴾ (٧٥ : المائدة) .
(٢) جاء فى القرآن ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق) هود : ٧١ .
(٣) القصص : ٧ .
(٤) نوح : ٢٨ .

ذكر الكرمانى فى هذه الآية عن ابن عباس قال : لم يكفر لنوح والد بينه وبين آدم .

ثم حكى قولا غريبا : أنهما كافران .

وجه الصواب فيما نقله الكرمانى :

قلت : الصواب الأول . والأثر المذكور: أخرجه ابن سعد عن ابن عباس قال : «ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام» ونص جماعة على إيمان «أم إبراهيم» .

ورجّحه أبو حيان فى البحر فى تفسير سورة إبراهيم واسمها «نوبا» وقيل : «أبيونا» حكاهما ابن سعد فى الطبقات من بين ولد أرفخشد بن سام بن نوح .

وأما الإجمال : فأخرج الحاكم فى المستدرك ، وصححه عن ابن عباس قال : «كانت الأنبياء من بنى إسرائيل إلا عشرة : نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ومحمد عليه السلام» .

وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث الله عيسى فكفر به من كفر ، فأمهات الأنبياء الذين من بنى إسرائيل كلهن مؤمنات ، ولم يبعث بعد عيسى أحد فى الأشْهَر .

وأما العشرة : فقد ثبت إيمانُ أمّ إسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وذُكِرَ إيمانُ أمِّ نوح وإبراهيم ، وبقى أم هود وصالح ولوط وشعيب يحتاج إلى نقل أو دليل .

والظاهر إن شاء الله تعالى إيمانهن ، فثبت بهذا الاستدلال إيمان الجميع ، وكان السر فى ذلك ما يَرَيْنَه من النور لما ورد فى الحديث «وكذلك أمهات النبيين يرين» !!

⊙ فصـــــــل

الدليل الثالث على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار

إحياؤها حتى آمنت :

قد عُرِفَ مما ذكرناه دليلان على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار :

كونها متحنفة .

وإحياؤها حتى آمنت .

وينضم إلى ذلك دليل ثالث وهو كونها من أهل الفترة . والأحاديث فى أهل الفترة معروفة مشهورة ؛ وقال تعالى ﴿وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رسولا﴾[1]

وقد أورد صاحب «مرآة الزمان» كلام جده «ابن الجوزى» على الحديث السابق ، ثم قال عقبه : وقال قوم : قد قال الله تعالى ﴿وما كنا مُعَذِّبين حتى نبعث رسولاً﴾

وقد أورد صاحب «مرآة الزمان» كلام جده ، والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما ؟!

⊙ فصـــــــل

الدليل الرابع على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار

ودليل رابع : وهو ما ثبت فى الصحيحين : «أن أبا لهب رؤى فى النوم فقال : لم أَلْقَ بعدكم خيراً ، غير أنى سُقِيتُ فى هذه بعتاقتى ثويبة» وثُوَيْبَة مولاةٌ لأبى لهب كان أبو لهب أعتقها وكانت ، أرضعت النبى ﷺ[2]

فإذا سقى أبو لهب فى نقرة إبهامه ، وأعتق منه هذا القدر من النار مع شدة عَداوته للنبى ﷺ ، وشدة ما لقى منه لكونه أعتق من أرضعته فما ظنك بمن حملته فى بطنها تسعة أشهر وأرضعته أياما وربته سنين وهى أمه ؟!

---

(١) الإسراء : ١٥ .

(٢) انظر صحيح البخارى كتاب النكاح باب يحرم من الرضاعة مايحرم من النسب .

⊙ فصـــــــل

الدليل الخامس على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار

ودليل خامس : قال ابن الجوزى : أُخْبِرتُ عن أبى الحسين يحيى بن الحسين ، ابن إسماعيل العلوى أنا أبو عبيد الله محمد بن على بن الحسين الحسنى ثنا زيد بن حاجب ثنا محمد بن عمار العطار ثنا على بن محمد بن موسى الغطفانى ثنا محمد بن هارونْ العلوى ثنا محمد بن على بن حمزة العباس ثنا أبى ثنا على بن موسى بن جعفر ثنا أبى عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن على بن الحسين ، عن أبيه عن على مرفوعاً «هبط جبريل علىّ فقال : إن الله يقرئك السلام ، ويقول : إنى حرّمت النارَ على صُلبٍ أنزلَك ، وبطنٍ حَمَلَك ، وحِجْرٍ كَفَلَك . أما الصلب : فعبد الله ، وأما البطن : فآمنة ، وأما الحِجْر : فعمه يعنى أبا طالب ، وفاطمة بنت أسد ».

قال ابن الجوزى : إسناده كما ترى ، وأبو الحسين العلوى رافضى غالٍ[1] .

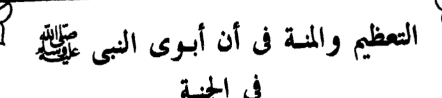
قلت : فاطمة بنت أسد آمنت ، وصحبت ، وهاجرت رضى الله عنها .



---

(١) رافضىّ غالٍ : الرافضة فرقة من الشيعة تجيز الطعن فى الصحابة : سموا بذلك لأن أوليهم رفضوا زيد بن على حين نهاهم عن الطعن فى الشيخين (ج) روافض والغالى من الغلو وهو الإسراف فى شططه وتطرفه .

القسم الثانى



التعظيم والمنة فى أن أبوى النبى ﷺ فى الجنة

- بيان الأدلة على أنه لا حكم قبل البعثة .
- رأى الإمام السيوطى فيما قاله النووى فى أطفال المشركين .
- بين يدى الآية الكريمة ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [١٨/ فاطر] .
- مذهب أهل السنة فيمن مات قبل الدعوة .
- ما أورده الزركشى من أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً .
- تساؤلات حول حكم أهل الفترة ودفع ما وقع فى شرح مسلم .
- ما ينبغى أن يفهم من شرح النووى فى حديث السائل عن أبيه .
- رأى الإمام السيوطى فى حديث : «إن أبى وأباك فى النار» .
- أسئلة وإجابة عنها .
- موت والديه فى سن الشباب وعلام يدل ؟
- الدليل على أن أبوى النبى ﷺ وأجداده كانوا على الحنيفية .
- ما قيل فى الصدّيق يصلح دليلا لنا فى أبوى النبى ﷺ .
- من نص على إسلامه من أجداد النبى ﷺ وما يدل أن عبد المطلب كان على الحنيفية .
- بعض من تحنف فى الجاهلية وبيان حال العرب كما ذكره الشهرستانى ورأى الفخر الرازى .

◉ فصل فى بيان الأدلة على أنه لا حكم قبل البعثة

العجب ممن يقطع بكون أبوى النبى ﷺ فى النار اعتماداً على قوله : «**أمى مع أمكما**» وقوله ﷺ : «**إن أبى وأباك فى النار**» ونحوهما من الأحاديث ! ويُلْغى ما عارضها بالكلية .

وللمسألة نظير صحيح ، والناس فيها خلاف ذلك ، وهى :

مسألة أطفال المشركين .

فقد ورد فى أحاديث كثيرة : أنهم فى النار .

وفى أحاديث قليلة : أنهم فى الجنة .

وصحح الجمهور هذا .

رأى النووى :

منهم : النووى[1] . وقال : إنه المذهب الصحيح المختار الذى صار إليه المحققون ؛ لقوله : ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾[2] .

وإذا كان لا يُعَذّب البالغ ؛ لكونه لم تبلغه الدعوة ؛ فغيره أولى .

هذا كلام النووى .

رأى غيره من العلماء :

وذكر غيره أن أحاديث كونهم فى النار منسوخة بأحاديث كونهم فى الجنة ، ويوضح النسخ ما أخرجه «ابن عبد البر»[3] عن عائشة قالت : «سألتْ خديجة رسولَ الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال : «**هم من آبائهم**» ثم سألته بعد ذلك

---

(١) النووى هو : يحيى بن شرف الحورانى ولد فى « نوا » القرية الواقعة فى منطقة حوران بسورية سنة ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٣ م ودرس فى دمشق ، وأقام بها زمنا ، وألف عشرات الكتب فى الحديث والفقه والعلوم الإسلامية المختلفة منها : « رياض الصالحين » و « الأربعون حديثا النووية » توفى بنوا سنة ٦٧٦هـ ١٢٧٧ م (الأعلام ٩/ ١٨٤) .

(٢) الإسراء : ١٥ .

(٣) هو يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى القرطبى صاحب كتاب « الاستيعاب » و « التمهيد » و « جامع بيان العلم وفضله » توفى سنة ٤٦٣ . (شذرات الذهب ٣/ ٣١٤) .

فقال : «الله أعلم بما كانوا عاملين» . ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام ، فنزلت : ﴿ولا تزرُ وازِرَةٌ وِزْر أخرى﴾[1] فقال : «هم على الفطرة» أو قال : «فى الجنة» فهذا يدل على النسخ .

[١] رأى الإمام السيوطى بناء على ما قاله النووى وغيره فى أطفال المشركين :

وكذا نقول فى الأحاديث التى وردت فى أن أبوى النبى ﷺ فى النار إنها منسوخة :

إما بإحيائهما وإيمانهما .

وإما بالوحى فى «أن أهل الفترة لا يعذبون» .

[٢] ومن جملة الأقوال فى الأطفال :

«أنهم فى مشيئة الله ؛ لا يُحْكم عليهم بشىء» .

وهذا هو المنقول عن الشافعى[2] والأئمة لحديث الصحيحين عن أبى هريرة «أن النبى ﷺ سُئل عن أطفال المشركين فقال : «الله أعلم بما كانوا عاملين» ومعناه أن من علم الله منه الإيمان لو عاش أدخله الجنة ، ومن علم منه الكفر ، لو عاش أدخله النار .

وكذا يقال فى أبَوَى النبى ﷺ ، والظن بهما أنهما لو عاشا إلى بعثه لبادرا إلى الإيمان مُسْرِعَيْن فيكونان من أهل الجنة .

[٣] ومن جملة الأقوال فى الأطفال أيضاً :

أنهم يُمْتَحَنُون فى الآخرة ، فمن أطاع أُدْخَل الجنة ، ومن عصى أدخل النار . وصححه البيهقى[3] .

---

(١) الأنعام : ١٦٤ أنظر الدر المنثور (١٦٨/٣) .

(٢) الشافعى هو محمد بن إدريس الهاشمى القرشى أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد بغزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ/ ٧٦٧م، وحمل منها إلى مكة ، ثم زار بغداد ، ومصر ، وتوفى فى القاهرة سنة ٢٠٤ هـ/ ٨٢٠ م كان أعلم الناس بالفقه والقراءات كما كان أشعر الناس وآدبهم ، وأذكاهم . له مؤلفات كثيرة منها : كتاب «الأم» فى الفقه : (الأعلام ٢٥٠/٦) . انظر البخارى كتاب الجنائز ، ومسلم كتاب القدر .

(٣) الإمام البيهقى هو احمد بن الحسين بن على . أبو بكر ، منسوب إلى بيهق ، وهى قرى مجتمعة بنواحى نيسابور ، على عشرين فرسخا منها ، وللبيهقى كتب كثيرة قيل : إنها نحو الألف ، وأشهرها . كتب السنن الكبرى ، ودلائل النبوة . توفى البيهقى سنة ٤٥٨هـ (الرسالة المستطرفة ٢٥ ـــ ٢٦) .

وهذا بعينه : وردت به الأحاديث الصحيحة فى أهل الفترة ، أخرج البزار[1] ، وأبو يعلى[2] ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : **«يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود ، والمعتوه ، ومن مات فى الفترة ، والشيخ الفانى ، كلهم يتكلم بحجته ؛ فيقول الرب تعالى : لعنق من النار : ابرز . ويقول لهم : إنى كنت أبعث إلى عبادى رسلاً من أنفسهم ، وإنى رسول نفسى إليكم . آدخلوا هذه . فيقول من كُتِبَ عليه الشقاء : يارب أنّى ندْخلها ، ومنها كنا نفِرّ ؟! قال : ومن كتبت عليه السعادة ، يمضى فيقتحم فيها مسرعاً ، فيقول الله تعالى : أنتم لرُسُلى أشدُّ تكذيبا ومعصية ، فيدخل هؤلاء الجنة ، وهؤلاء النار»** .

وأخرج أحمد وابن راهويه فى مسندهما والبيهقى فى «كتاب الاعتقاد» ، وصححه ، عن الأسود بن سريع ، وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : **«أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات فى فترة»** إلى أن قال[3] : **«وأما الذى مات فى الفترة ، فيقول رب ما أتانى لك رسول . فيأخذ مواثيقهم ليُطِيعُنّه ؛ ، فيرسل إليهم آن ادخلوا النار، فمن دخلها كانت عليه بَرْداً وسلاما ، ومن لم يدخلها يُسْحَبُ إليها»** .

وأخرج البزار عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : **«يؤتى بالهالك فى الفترة ، والمعتوه ، والمولود»** .

يقول الهالك فى الفترة : «لم يأتنى كتاب ولا رسول» .

ويقول المعتوه : أى رب لم تجعل لى عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً .

ويقول المولود : لم أدرك العقل .

فترفع لهم نار فيقال لهم : ردُوها ــ أو قال : ادخلوها ــ قال : فيردها من كان فى

---

(٢) البزار : هو الحافظ الشهير أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ويكنى «أبا بكر» ، توفى سنة ٢٩٢هـ وله مسندان : كبير وصغير ويسمى الكبير : «البحر الزاخر» و «الكبير المعلل» . وفيه يتكلم فى تفرد بعض رواة الحديث ، ومتابعة غيره عليه وانظر (الرسالة المستطرفة ٥١) .

(٢) أبو يعلى : هو القاضى الحافظ الخليل بن عبد الله القزوينى المتوفى سنة ٤٤٦ هـ . له «الإرشاد فى علماء البلاد» ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه ، ثم رتبه على الحروف ابن قطلوبغا (٨٧٩) (المستطرفة ٩٧) رواه أبو يعلى والبزار وبنحوه انظر مجمع الزوائد (٢١٦/٧) .

(٣) ذكر الحديث بطوله ابن كثير فى تفسير للآية الخامسة من سورة الإسراء . مسند أحمد ٤ : ٢٤

علم الله سعيداً أن لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان فى علم الله شقياً أن لو أدرك العمل ، فيقول تبارك وتعالى : «إياى عصيتم فكيف لو أن رسلى أتتكم» ؟ ! وأخرج البزار[1] عن ثوبان : أن النبى ﷺ قال : «**إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم ، فيقولون : ربنا لم ترسل لنا رسولاً ، ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولًا ، لكنا أطوع عبادك ! فيقول لهم ربهم : أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعونى ؟**»[2] وذكر نحو ما تقدم .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم من حديث معاذ بن جبل «مثله» . وفى الباب أحاديث أُخر وهذه الأحاديث هى العمدة فى المسألة وكل ما شابهها ، وعليها بنى الفقهاء أصولهم ، ومذاهبهم فى : **أنه لا حكم قبل البعثة ، وهى ناسخة لكل حديث خالفها ؛ فلا يحكم على أحد معين من أهل الفترة أنه فى النار بل هو فى مشيئة الله موقوف على الإشخاص وقد صرح فى حديث ثوبان بِحَرَيَّان هذا الحكم فى أهل الجاهلية عبدة الأوثان ، فمن لم تثبت عنه عبادة وثن من باب أولى .**

وأبوا النبى ﷺ لم يثبت عن أهل الجاهلية ، أنهما من عُبَّادِ الأوثان . بل ولا ثبت ذلك عن أحد من أصوله ، بل ثبت أوكاد يثبت انتفاؤه .

◉ فصل بين يدى الآية الكريمة

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ .

ظهر لى «نكتة لطيفة» جداً فى قوله تعالى : **﴿ولا تزر وازرة وِزْرَ أخرى﴾** وقوله : **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾** .

[الإسراء : ١٥]

(*) رواه البزار ، انظر مجمع الزوائد (٢١٦/٧)

(١) الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق فى مسنده .

(٢) تمام الحديث فى تفسير ابن كثير لسورة الإسراء . وكذا الحديث بتمامه فى الدر المنثور (١٦٨/٤)

حيث قرن بين هاتين الجملتين :

فإن الأولى : متعلقة بأطفال المشركين ؛ ولهذا اعتمدها النبى ﷺ حين نزلت ، وأخبر بأنهم فى الجنة ، بعد إخباره بأنهم فى النار ، كما تقدم فى حديث عائشة .

والثانية : متعلقة بأهل الفترة وهم والأطفال مشتركون فى عدم التعذيب لأمرين :

أحدهما ـــ عدم بلوغ الدعوة ، لعدم العقل المدرك بناء على .ه الآية .

وما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم بسند صحيح قال : «إذا كان يوم القيامة جمع أهل الفترة ، والمعتوه ، والأصم ، والأبكم ، والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ، ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار .. فيقولون : كيف ولم تأتنا رسل ؟ قال : وأيمُ الله لو دخلوها لكانت عليهم بَرْداً وسلاما ، ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه ، ثم قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾[*]

[الإسراء ١٥]

إسناده على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الراوى فله حكم الرفع .

وعلى الجملة الثانية من الحكم على أهل الفترة بأنهم يُمْتَحَنُون فى الآخرة ولا يبادَرُون بالعذاب ، بعد إخباره بما يقتضى أنهم فى النار ابتداء ؛ فكان الإخبار أن الأولاد فى الفريقين على حد سواء أنهما فى النار .

والنازل فيهما جملتان مقترنتان ، والإخبار ثانياً عنهما متحد أيضا ، وهو أنهم لا يعذبون وقد صححه النووى والمحققون فى الأطفال .

وذهب آخرون إلى أنهم يُمْتَحَنُون[1] ، وجزم به أهل السنة قاطبة فى أهل الفترة ، فوجب انتفاء التعذيب عن أبوى النبى ﷺ ، وإنما جزم بالامتحان فى أهل الفترة

(*) رواه ابن جرير فى تفسيره (٤٠/١٥) وابن أبى حاتم كما فى الدر المنثور (١٦٨/٤) .

(١) كما يقول ابن كثير فى العرصات : فمن أطاع دخل الجنة ، وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ؛ ومن عصى دخل النار داخرا ، وانكشف علم الله فيهم بسابق الشقاوة . ثم قال ابن كثير : وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها ، وقد صُرِّحت به الأحاديث المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض . وهذا القول هو الذى حكاه الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى عن أهل السنة والجماعة ، وهو الذى نصره الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتاب الاعتقاد ، وكذلك غيره من محققى العلماء والحفاظ والنقاد . ا . هـ .

وجرى فى الأطفال ، وصُحِّحَ كونهم فى الجنة ابتداء لأجل مزيد البلوغ والعقل فى أولئك .

ويدل لكون النبى ﷺ إنما حكم على أهل الفترة بالامتحان ، ورفع العذاب ابتداء اعتمادا على رفعه عن جميع أجداده كما ستأتى الإشارة إليه .

ما يؤخذ من هذه الأحاديث :

ويؤخذ من هذه الأحاديث الرد على ابن دحية فى كلامه السابق عنه ، وقوله «**إن الإيمانَ بعد الموت لا ينفع**» فإذا كان الإيمان ينفع فى أهل الفترة فى الآخرة التى ليست مدار تكليف ، وقد شاهدوا جهنم بشهادة هذه الأحاديث فَلأَن ينفعهم بالإحياء من الموت فى الدنيا من باب أولى .

وعلى تقدير عدم ثبوت إحيائهما فى الدنيا ، فالظن بهما عند الامتحان فى الآخرة أن يطيعا ، ويهديهما الله لذلك ، ليقرَّ بِهِ عين النبى ﷺ .

« فصـــــل »

فى نقل مذهب أهل السنة : فيمن مات قبل الدعوة

قال أهل الأصول قاطبة : «شكر المنعم ليس بواجب عقلا خلافاً للمعتزلة» .

قال الكِيَا الهراسى[1] وغيره : المراد بشكر المنعم : امتثال الأوامر واجتناب النواهى من الكفر وغيره .

قال السبكى[2] : فى «رفع الحاجب» : وذهب بعض أصحابنا إلى موافقة المعتزلة

---

(١) الكِيَا الهرّاسى : عماد الدين أبو الحسن على بن محمد الطبرى الشافعى كان من أهل طبرستان ، وخرج إلى نيسابور ، وتفقه على إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى مدة إلى أن برع . تولى تدريس المدرسة النظامية ببغداد إلى أن توفى .

كان من رءوس معيدى إمام الحرمين فى الدرس ، وكان ثانى أبى حامد الغزالى بل آصل وأصلح وأطيب فى الصوت والنظر . وكانت ولادة الكيا فى ذى القعدة سنة خمسين وأربعمائة . وتوفى يوم الخميس فى وقت العصر مستهل المحرم سنة أربع وخمسمائة ببغداد ، ودفن فى تربة الشيخ أبى إسحاق الشيرازى . والكيا بكسر الكاف وفتح الياء فى اللغة الأعجمية هو الكبير القدر المقدم بين الناس كما قال ابن خلكان فى ترجمته .

(٢) السبكى : تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى بن سليم الأنصارى شيخ الإسلام. ولد بسبك من=

كابن سريج ، والصيرفى ، والقفال الكبير ، وابن أبى هريرة ، والقاضى أبو حامد .

وقد اعتذر القاضى أبو بكر الباقلانى فى «التقريب» ، والأستاذ «أبو إسحاق» فى أصوله ، والشيخ «أبو محمد الجوينى» فى «شرح الرسالة» عمن وافق المعتزلة من أصحابنا بأنهم لم يكن لهم قدم راسخ فى الكلام . وربما طالعوا كتب المعتزلة فاستحسنوا هذه العبارة وهى : «**شكر المنعم واجب عقلا**» فذهبوا إليها غافلين عن تشعبها عن أصول القدرية .

قال القاضى ، مع علمائنا :بأنهم «ما انتموا مسالكهم وما اتبعوا مقاصدهم» .

قال ابن السبكى : وهو كلامُ حَقٌّ بالنسبة إلى من عدا القَفَّال الكبير .

أما القفال : فكان إماماً فى الكلام مقدما ، إلا أنه كان فى أول أمره مُعْتَزِلِيًّا ، فقال هذه المقالة .

ثم لما رجع عن الاعتزال لابد أن يكون رجع عن ذلك .

قال ابن السبكى : وعلى مسألة شكر المنعم يتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة .

فعندنا يموت ناجياً ، ولا يقاتَل حتى يُدْعى إلى الإسلام ، وهو مضمون بالكفارة والدية ، ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح ؛ إذ ليس هو بمسلم . (انتهى كلامه) .

وهو صريح فى نجاته ، وأنه لا يدخل النار ، وأنه يدخل الجنة مع كونه لا يسمى مُسْلماً ، وهذا غير مسألتنا إن ثبت فى شئ من الحديث إطلاق اسم الكفر على المحل المتنازع فيه ، وأنا لا أثبته كما سأشير إليه .

◉ فصل فى شكر المنعم

أورد الزركشى فى شرح «جمع الجوامع» لقاعدة : «أن شكر المنعم ليس بواجب عقلا» ثلاثة أدلة من القرآن :

= أعمال المنوفية سنة ثلاث وثمانين وستمائة وتفقه وأخذ الحديث والتفسير والقراءات والأصول والمعقول والنحو والتصوف ،وانتهت إليه رياسة العلم بمصر، له من المصنفات« الدر النظيم فى تفسير القرآن العظيم » ، « ورفع الشقاق فى مسألة الطلاق » وغيرهما،وله،فتاوى فى ثلاثة مجلدات جمعها ولده . توفى سنة ست وخمسين وسبعمائة . =

قوله تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ذلك ان لم يكن ربُّك مُهلِكَ القرى بظلم وأهلها غافلون﴾[2] أى لم يأتهم الرسل والشرائع .

وقوله تعالى : ﴿ولولا أن تُصيبَهم مُصيبَةٌ بما قَدّمَتْ أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾[3] .

قلت أخرج ابن أبى حاتم[4] فى تفسيره عند هذه الآية الأخيرة عن أبى سعيد الخُدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «الهالك فى الفترة ، يقول : «ربِّ لم يأتنى كتاب ، ولا رسول . ثم قرأ هذه الآية : ﴿ربنا لولا أرسلتَ إلينا رسولاً فنتبعَ آياتِك ونكونَ من المؤمنين﴾[5] [إسناده حسن] .

ومن الآيات الواردة فى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وما كان ربك مُهلِكَ القرى حتى يبعث فى أُمِّهَا رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وماكنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[6] .

وقوله تعالى : ﴿ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذِلَّ ونخْزَى﴾[7] .

أخرج ابن أبى حاتم عند تفسير هذه الآية عن عطية العوفى قال : الهالك فى الفترة يقول : «رب لم يأتنى كتاب ، ولا رسول» .

وقرأ هذه الآية : ﴿ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا﴾ إلى آخر الآية .

وقوله تعالى : ﴿وهم يصْطَرِخُون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾[8] ؟!

---

(١) الإسراء : ١٥ .

(٢) الأنعام : ١٣١ .

(٣) القصص : ٤٧ .

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمى الحنظلى الإمام ابن الإمام حافظ الرى وابن حافظها سمع من أبيه وروى عنه أبو الشيخ بن حيان وخلائق وكان بحرا فى العلوم ومعرفة الرجال . ومن تصانيفه «التفسير المسند» و كتاب «الجرح والتعديل» وكتاب «الرد على الجهمية» وكتاب «الزهد» وكتاب «الكنى» وكان من كبار الصالحين لم يعرف له ذنب قط ، ولا جهالة له طول عمره (طبقات المفسرين . للسيوطى) .

(٥) القصص : ٤٧ . انظر الدر المنثور (١٣٠/٥) .

(٦) القصص : ٥٩ .

(٧) طه : ١٣٤ .

(٨) فاطر : ٣٧ .

وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة[1] فى هذه الآية قال : احتج عليهم بالعُمر ، والرُّسُل .

وقوله تعالى : ﴿رسلا مبشّرين ومُنذرين لئلا يكونَ للناس على الله حجةٌ بعد الرسل﴾[2] وأخرج ابن جرير[3] ، وابن أبى حاتم عن السُّدى[4] فى هذه الآية : « لئلا يكون للناس علىّ حُجةٌ بعد الرسل » .

قال : فيقولون : « ما أرسلت إلينا رسولاً ! » .

◉ فصل فى تساؤلات حول حكم أهل الفترة ! ودفع ما وقع فى شرح مسلم

فإن قلت : كيف يكون حكم أهل الفترة حكم من لم تبلغه الدعوة ، وحكم ما قبل البعثة ، وقد كانت شريعة موسى وعيسى إذ ذاك موجودة ؟!

قلت : دلت الأدلة على أن العرب لم يكونوا مخاطَبين بها ، ولا مُكَلَّفين باتباعها ، ولهذا وردت الأحاديث فى الهالك فى « الفترة » صريحة ، ولم يعوّل على ذلك .

ولو كان المراد بما قبل البعثة : أن لا يكون بعث رسول الله فى الدنيا أصلا لاستحال وجود ذلك ؛ إذ ما من فترة إلا قبلها نبى ، إلى آدم ، وهو أول الأنبياء ، وليس قبل آدم بشر .

---

(١) هو أبو الخطاب قتاده بن دعامة السدوسى الأكمه عربى الأصل كان يسكن البصرة . روى عن بعض الصحابة والتابعين قال فيه سعيد بن المسيب : « ما رأيت عراقيا أحفظ من قتادة » وقد احتج به أصحاب الكتب الستة إلا أنه كان يخوض فى القدر فمن ثم تحاشى بعض العلماء الأخذ عنه وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة (الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير لأبى شهبة) .

(٢) النساء : ١٦٥ .

(٣) محمد بن جرير الطبرى تفسيره من أجل التفاسير وأعظمها قدرا .

(٤) إسماعيل السُّدى له تفسير يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس وروى عن السدى الأئمة مثل : الثورى ، وشعبة ويقول أبو شهبة إن أمثل التفاسير تفسير السُّدى .

والقرآن أيضا ناطق بذلك قال تعالى : ﴿وهذا كتاب أنزلناه مُبارَك فاتبعوه واتقوا لعلكم تُرحمون . أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قَبْلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾[1] .

أخرج ابن أبى حاتم ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ[2] عن مُجاهد فى قوله : ﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾ .

قال اليهود والنصارى : خاف أن تقوله قُرَيْش .

رأى الإمام السيوطى فيما وقع فى شرح مسلم حول أهل الجاهلية :

وبهذا الفصل ندفع ما وقع فى شرح مسلم فى حديث : «إن أبى وأباك فى النار»[3] وقوله : «إن أهل الجاهلية لا يجرى عليهم حكم من لم تبلغه الدعوة ؛ لتقدم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء» .

كيف وفى الحديث السابق من رواية ثوبان «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم» وذكر بقية الحديث فى الامتحان .

فهذا لا نص فى المسألة .

وبقية الأحاديث ناصة على الهالك فى الفترة ، والفترة ما بين النبيين ، واشتهرت بما بين عيسى والنبى ﷺ .

وإذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعرى من هم ؟!

الاستشهاد برأيى الإمام الرافعى :

وقد قال «الرافعى»[4] فى «الديات» : وتبعه فى «الروضة» : «من لم تبلغه دعوة

---

(١) الأنعام : ١٥٥ ــ ١٥٦ .

(٢) أبو الشيخ بن حيان حافظ أصبهان ومسند زمانه كان حفاظا ثبتا متقنا ، وكان مع سعة علمه ، وغزارة حفظه صالحا خيّراً قانتاً لله صدوقاً توفى سنة ٣٦٩(تذكرة الحفاظ ٩٤٥/٣). [الدر المنثور٣ : ٥٦]

(٣) الحديث رواه مسلم عن أنس رضى الله عنه : أن رجلا قال : يارسول الله ، أين أبى ؟ قال : « فى النار » فلما قَضّى الرجل دعاه فقال : « إن أبى وأباك فى النار » وقَفّى : ولّىَ قفاه منصرفاً .

(٤) الرافعى : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفَضْل الإمام أبو القاسم إمام الدين الرافعى القزوينى الشافعى صاحب « الشرح الكبير » كان أوحد عصره فى العلوم الدينية ، أصولا وفروعا ، ومجتهد زمانه فى المذهب ، وفريد وقته فى التفسير ، كان له مجلس بقزوين للتفسير ولتسميع الحديث .

صنف « شرحا لمسند الشافعى ، و شرحا للوجيز » وآخر أوجز منه ، وكان زاهدا ، ورعا متواضعا .

نبينا ، لا يجوز قتله قبل الإعلام والدُّعَاء إلى الإسلام فلو قُتِل كان مضمونا قطعاً » .

وكيف يضمن ؟

أما الكفارة : فيجب بلا تفصيل . ثم له ثلاثة أحوال :

أحدها : أن لا يكون بَلَغَتْه دعوةُ نبى أصلا ، فلا قصاص على الصحيح . وأوجبه القَفّال .

وقيل : يجب دية مجوسى ، أو مسلم ، وجهان : أصحهما : الأول .

الثانى : أن يكون متمسكا بدين لم يُبَدّل ولم يَبْلُغْه ما يخالفُه ، فلا قصاص على الأصح . وهل يجب دية مسلم أو دية أهل ذلك الدين ؟ وجهان . أصحهما : الثانى .

الثالث : أن يكون متمسكا بدين لحقه التبديل ، لكن لم يبلغه ما يخالفه ، فلا قصاص قطعا . ويجب دية مجوسى فى الأصح . « انتهى » .

فجعل من أحوال من لم تبلغه الدعوة : **من لم تبلغه دعوة نبى أصلا** . وهل يمكن أن يوجد فى أطراف الأرض من لم يبلغه أن الله بعث نبياً أصلا من لدن آدم ، وبعثة أنبياء الله ، ووقائعهم مع أممهم وإهلاكهم مشهورة ، ولو لم تكن إلا بعثة نوح وإقامته ألف سنة إلا خمسين عاماً ، والطوفان الذى أغرق أهل الأرض جميعاً ، **فلو اعتبرنا مطلق وجود بعثة الأنبياء لاستحال وجود من لم تبلغهم الدعوة ، ولسقطت الأحاديث والآثار الواردة فى أهل الفترة بأسرها على كثرتها ، وصحتها ، ويحكم عليهم أجمعين بأنهم فى النار ، من غير امتحان . وفى هذا إلغاء ورَدّ للأحاديث الثابتة الصحيحة** .

مــزيد بيـــان :

فإن قلت : لم يتضح لى هذا كل الاتّضاح فزدنى بياناً لوجهه ؟

قلت : وجهه مجموع أمور :

طول المدة من لدن بعثة إبراهيم وإسماعيل ؛ فإنه لم يبعث فى العرب نبى بعد إسماعيل .

وحدوث التغيير فى دينهما ، وتمادى الزمان عليه ، وفقد من نقل شريعتهما على وجهها ، وتداول القرون قرنا بعد قرن فتمكن بذلك الكفر حتى نشأ قوم ، فلم يجدوا إلا ذاك ، ولم يسمعوا بحقيقة دين إبراهيم على وجهه ، ولا وجدوا من يخبرهم به ، فهؤلاء لا يصدق عليهم أنهم لم تبلغهم الدعوة ؛ ولهذا استنكروا ما جاء به النبى ﷺ ، وتعجبوا منه ، ونسبوه إلى أنه أتى بدين مُحَدَثٍ لا يُعرَف .

وقالوا : ﴿إن هذا لشىء عُجَاب﴾ ﴿ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة﴾[1] .

وقالوا : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[2] .

ولو كان عندهم علم بدعوة الأنبياء على ما هى عليه ، لعرفوا أن دعوة النبى ﷺ من نَمَطِ دعوتهم .

ولهذا أسْلَمَ كثير من العرب لما سمع من أهل الكتاب الشهادة له بالتصديق ، ولم يكن كفرهم إنكاراً للصانع والإلهية ، ولا ادَّعَوْا فى الأصنام أنها تخلق وتدبر ، كما ادعى نمرودُ[3] وقومه ، بل كانوا يعترفون لله بالإلـٰهية ، وأنه الخالق المدبر ، كما قال تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُنَّ الله﴾[4] .

وكانوا يزعمون فى الأصنام أنها تشفع لهم عند الله .

كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفى﴾[5] .

وكانوا يقولون فى تلبيتهم :«لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك» كما قال تعالى : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾[6] فعُرف بذلك أن كفرهم كفر إشراك لا كفر إنكار لوجود الصانع ، وأن ذلك صادرٌ عن الجهل بما جاءت به الأنبياء والرسل ، وعدم بلوغه لهم على وجهه .

---

(١) ص : ٥ ، ٧ .
(٢) الزخرف : ٢٣ .
(٣) تحكى الآية رقم ٢٥٨ من سورة البقرة ﴿ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه﴾ (.. الخ) قصة نمرود ؛ ذلك الذى أراد أن ينازع الجليل فى إزار العظمة ورداء الكبرياء ، فادعى الربوبية وهو أحد العبيد الضعفاء ولقد ناظره سيدنا إبراهيم فأفحمه ، وبُهت الذى كفر .
(٤) الزخرف . ٨٧
(٥) الزمر ٣ .
(٦) يوسف . ١٠٦

ويوضح ذلك قوله تعالى : ﴿يأها الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير﴾[1] فإذا كان الله تعالى أعذر[2] إلى أهل الكتاب بأن بعث إليهم رسوله بعد الفترة ، يبين لهم ما بدله الأحبار[3] وكتموه لئلا يحتجوا بقولهم : ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ هذا وهـ أهل كتاب عالمين بشريعة موسى فى الجملة غير أنهم تمسكوا بما لحقه التبديل ؛ لكونهم قلدوا فيه أسلافهم و' يكونوا أهلاً لتمييز الحق من الباطل — فما ظنك بالعرب الأميين الذين ليسوا أهل كتاب ولا يدرون ما الكتاب ؟!

تنبيـــــه

ما ينبغى أن يفهم من قول النووى فى شرح مسلم لحديث السائل عن أبيه !

الذى عندى : أنه لا ينبغى أن يفهم — من قول النووى فى شرح مسلم — فى حديث : «أن رجلا قال : يارسول الله ، أين أبى ؟ قال : فى النار ، فلما قفى ودعاه فقال : «إن أبى وأباك فى النار» .

فيه أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار ، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة ؛ فإن هؤلاء كانت بَلَغَتْهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء — أنه أراد بذلك الحكم على أبى النبى ﷺ .

بل ينبغى أن يفهم من أنه أراد الحكم على أبى السائل ، وكلامه ساكت عن الحكم على الأب الشريف .

---

(١) المائدة : ١٩ .

(٢) أعذر إليهم أى عذرهم ومهدلهم قبول العذر ببعث نبى إليهم لينقذهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور .

(٣) جمع حِبَر وهو بفتح وكسرالحاء واحدأحباراليهود ورئيس من رؤساء الدين ، الحبر الأعظم ، خلف السيد المسيح . وكذا رئيس الكهنة عند اليهود .

◉ فصـــل

فى بيان ماوُجّه إلى حديث «إن أبى وأباك فى النار» من حيث السند والمتن

ظهر لى فى حديث «إن أبى وأباك فى النار» عِلتانْ :

إحداهما : من حيث «الإسناد» وذلك أن الحديث أخرجهَ مسلم وأبو داود من طريق «حماد بن سلمة» عن «ثابت» عن «أنس» أن رجلا قال : «يارسول الله أين أبى ؟ قال : فىالنارِ ،فلما قَفّى دعاه ، فقال : إن أبى وأباك فى النار» .

هذا الحديث تفرد به مسلم عن البخارى ، وفى إفراد مسلم أحاديث مُتَكَلّم فيها ، ويوشك أن يكَون هذا منها .

رأى أئمة الحديث فى ثابت :

أما أولاً : «فثابت» ـــ وإن كان إماماً ثقة ـــ فقد ذكره ابن عدى فى «كامله» فى الضعفاء وقال : إنه وقع فى أحاديثه نكرة ، وذلك من الرواة عنه ؛ فإنه رَوَى عنه ضُعفاء ، وأورده الذهبى فى «الميزان»(*).

ورأيهم فى حماد بن سلمة :

وأما ثانياً : فحماد بن سلمة وإن كان إماماً عالماً عابداً فقد تكلم جماعة فى روايته ، وتنكب[1] البخارى عنه ؛ فلم يُخرج له شيئاً فى صحيحه .

وقال الحاكم فى المدخل : ما خرج مسلم «لحماد بن سلمة» فى الأصول إلا حديثه عن ثابت .

وقد خرج له فى الشواهد عن طائفة .

وقال الذهبى : حماد ثقة له أوهام ، وله مناكير كثيرة ، وكان لا يحفظ ؛ فكانوا يقولون : إنها دُسّت فى كتبه(*) .

(*) انظر الميزان (١/٣٦٢) .

(١) أعرض .

(*) انظر المرجع السابق (١/٥٩٠ ـ ٥٩٥) .

وقد قيل : إن ابن البرجا كان ربيبه ؛ فكان يدس فى كتبه .

ومن مناكيره ما رواه عن ثابت عن أنس : «أن النبى ﷺ قرأ : ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾[1] قال : «أخرج طرف خِنْصَرِه وضرب على إبهامه فساخ الجبل» .

هذا الحديث أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

وأورده ابن الجوزى فى «الموضوعات» وقال : «إنه لا يثبت ، وأنه مما دسّه ربيبُه عليه» .

والمناكير فى رواية حماد كثيرة ، وإنما أوردت هذا لأنه بسند الحديث الذى نحن فى تعليله .

ومِنْ أَنْكَرِ رواياته ما رواه عن «قتادة» عن «عِكرمةَ» عن «ابن عباس» مرفوعا : «رأيت ربى جَعْدًا أمْرَدَ ، عليه حُلّةٌ خضراء»[*] وهذا أيضاً أورده فى الموضوعات . فبان بهذا أن الحديث المتنازع فيه لا بِدْعَ أن يكون مُنْكراً وقد وُصِفَتْ أحاديثُ كثيرةٌ بأنها منكرة .

العلة الثانية : من حيث المتن : وهى مبنية على مقدمة ، وذلك «أن النبى ﷺ سأله رجل عن الساعة ، فنظر إلى أحدث القوم سنا فقال : إن يستنفذ هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة» .

قال العلماء : كان الأعراب يسألونه كثيرا عن الساعة فخشى ﷺ — من قوله لهم لا أعلمها فَتْنَتَهُم وشكّهم فى نبوته . فأجابهم بجواب فيه تورية[2] .

ومراده : إن بلغ هذا الغلام أقصى العمر لم يمت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم ، بأن يموتوا كلهم ، وقيام ساعة كل أحد موته .

رأى الإمام السيوطى فى حديث «إن أبى وأباك فى النار»

إذا عرف ذلك : فالذى عندى فى هذا الحديث أن لفظة : «إن أبى وأباك فى النار» ليست مروية باللفظ بل رواها الراوى بالمعنى ، فوهم فى ذلك ، وإنما تكلم

(١) الاعراف : ١٤٣ والحديث فى مسند أحمد (١٢٥/٣) . والترمذى كتاب التفسير (١٩٣/١١) والحاكم (٥٧٧/٢) .

(*) أورده ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٣٦/١) .

(٢) يقال : ورى الشيء . أخفاه . والتورية إظهار شيء وإخفاء غيره أيضا فقد أظهر قيام ساعة كل منهم . أما قيام ساعة الجميع فعلمها عند ربنا يخفى على الجميع أمرها وليس المسئول عنها بأعلم من السائل كما ورد فى الأحاديث .

عن النبى ﷺ بكلام مروى ، ففهم منه السامع ذلك فقال ، وقد وضح لنا ذلك من طرق أخرى .

أخرج البزار فى «مسنده» ، والطبرانى فى المُعْجَم الكبير بسندٍ رجاله رجال الصحيح عن «سعد بن أبى وقاص» أن أعرابيا أتى النبى ﷺ فقال : **يارسول الله أين أبى ؟ قال : فى النار . قال : فأين ؟ قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار»** .

هذا حديث صحيح وفيه فوائد :

منها : بيان أن السائل كان أعرابياً وهو مظنة الفتنة والردة . ومنها : بيان أن الجواب فيه إيهام وتورية إذْ لم يُصَرِّح فيه بأن الأب الشريف فى النار ، إنما قال : «حيثما مررت بقبر كافرٍ فبشره بالنار» .

وهذه جملة لا تدل بالمطابقة على ذلك ، إنما قد يفهم منها ذلك بحسب السياق والقَرائن ، وهذا شأن «التورية والإيهامات» فكره ﷺ أن يُفْصِحَ له بحقيقة الحال ، ومخالفة أبيه لأبيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده ؛ لما جُبلَت عليه الأنفس من كراهة الاستئثار عليها ، ولِمّا كانت عليه الأعراب من غِلَظِ القلوب ، والجفاء فأورد له جوابا .مُوهِمًا يُطْمِئنُ القلب ، فكانت هذه الطريق من طرق الحديث فى غاية الإتقان .

ولهذا قال بعض الحفاظ : لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عقلناه ، يعنى لا ختلاف الرواة فى إسناده وألفاظه وقد أُوقع فى الصحيحين أحاديث كثيرة من هذا النمط ، وهَم فيها الرواة فى بعض الألفاظ ، وبيّنها النقاد .

منها : حديث مسلم فى « نفى قراءة البسملة» وقد أعلَّه الشافعى بذلك وقال : إن الثابت من طريق آخر نفى «سماعها» . ففهم منه الراوى نفى «قراءتها» ، فرواه بالمعنى على ما فهمه فأخطأ فى أشياء أخر مبينة فى كتب الحديث ، فبان بهذا تعليل الحديث ، من هذه الحيثية ، ولا يكون ذلك قَدْحاً فى صحة الحديث من أصله ، بل فى هذه اللفظة فقط .

رأى الإمام السيوطى فى حديث «أمى مع أمكما» :

وكذلك حديث «أمى مع أمكما» على ضعف إسناده ، لا يلزم منه كونها فى النار ؛ لجواز أن يكون أراد بالمعية كونها معها فى «دار البرزخ» أو غير ذلك ، وعبر بذلك تورية وإيهاماً تطييباً لقلوبهما .

سؤال والإجابة عنه :

فإن قلت : قد قررت : أن أهلَ الفترةِ لا يقُضى عليهم بكونهم فى النار حتى يمتحنوا ؛ فكيف حكم صلى الله عليه وسلم على «أبى السائل» بأنه فى النار ؟

قلت : ظهر لى على ذلك أربعة أجوبة :

الأول : أن هذا الحديث متقدم على الأحاديث الواردة فى أهل الفترة ؛ فيكون منسوخاً بها ، كما أخبر أولاً عن الأطفال المشركين بأنهم فى النار ، ثم نُسِخَ ذلك .

الثانى : أنَّا لم نَقطع بعدم النار فى أهل الفترة ، بل قلنا : يُمْتَحَنُون ، فمن أطاع دخل الجنة ، ومَنْ لا ، دخل النار . فيمكن أن يكون النبى ﷺ اطَّلع فى حق هذا بخصوصه على أنه يَعْصى عند الامتحان ، فيدخل النار ، واوحى إليه بذلك ، فحكم بأنه من أهل النار .

الثالث : أنه يمكن فى هذا الرجل أن يكون ممن دخل يثرب ، أو الشام ، واجتمع بأهل الكتاب ، وبلغته دعوة موسى وعيسى ، وأصَرّ على الشرك فلم يُعْذَر .

الرابع : أنه يمكن أن يكونَ عاشَ حتى أدركَ بَعثة النبى ﷺ ، وبلغه ذلك ، وأصرّ ومات فى عهده ، وهذا لا عُذرَ له ألْبَتَّةَ .

سؤال آخر والإجابة عنه :

فإن قلت : فأبَوَا النبىِّ ﷺ قد دخلا يثربَ ، واجتمعا باليهود ؛ فلزمهما ما قُلْتَ فى الجواب الثالث !

قلت : الجواب عنهما من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه يحتاج إلى ثُبوتِ أن اليهودَ دعَوْهما إلى الدِّين ، وهذا لم يُنْقل ، فيحكم عليه خصوصاً أنهما لم يُقيما بالمدينة إلا أياما قلائلَ لا تَسَعُ ذلك .

أما «عبد الله» فإنه مَرّ بِها فى سَفَرِه إلى الشام ، ورجع فدخلها وهو مريض ، فأقام بها شهراً مريضا، ومات .

وهذه المدة مع المرض لا تسع اجتماعا بأحد ، ولا سؤالاً عن دين !

وأما «آمنة» فَقَدِمَتْ المدينة زائرةً لأقاربها ، فأقامت بها أيضاً شهراً ، ومعها النبى ﷺ ، ورجعت فماتت بالطريق !

الثانى : أنّا نقول : وأى مانع من أن يكونا دُعِيَا إلى الدين ، فأجابا، وإنْ لَمْ يُنْقَل الأمران ؟!

وكيف ينسب إليهما الامتناع وقد بُشِّرَا من أهل الكتاب والكُهَّان وغيرهم بنُبوّةِ ولدهما قبل ولادته ، وصَدّقا بذلك وسُرّا به، وبُشِّرت به أمُّه قبل ولادته ، وعند ولادته ، وبعد ولادته ، وصَدّقت بذلك ، وفَرِحت وقالت : الأبيات السابقة عند موتها ؟!

وهل يُنسب إليهما الشِّرْك وقد أُخْبِرَا عن ولدهما أنه يُبْعث رسولاً عن الله بالتوحيد ، وكسر الأصنام ، وصَدَّقا بذلك ؟! وهل الإسلام شئ غير هذا التصديق ؟!

الثالث : أنّا نَدّعى أنهما كانا من أول أمرهما على «الحنيفية دين إبراهيم» وأنهما لم يعبدا صَنَماً قَطّ ، وسنقرر ذلك قريباً بأدلته .

تنبيـــــه

موتهمـــا فـــى ســـن الشـــباب

من اللطائف فى شأنهما : أنهما ماتا شابين ؛ فلم يبلغا سنا تقوم به الحجة عليهما ، كما قال تعالى : ﴿أوَ لَم نُعَمِّرْكم ما يتذكر فيه من تذكر﴾[1] ؟ قيل : هو ستون سنة وقيل : أربعون سنة .

وفى الحديث : «لقد اعذر الله إلى أمرئ : أخّرَهُ من العمر ستين سنة»[*]

وفى الأثر : «لقد تمت حجةُ الله على ابن الأربعين» وكان عُمْر والد النبى ﷺ حين تُوفى خمساً وعشرين سنةً ، كما قال الواقدى . إنه أثبت الأقاويل فى سِنّه ، وكان عمر أمه حين توفيت (.........)[2]

---

(١) فاطر : ٣٧ .

(*) أخرجه أحمد فى مسنده (٢٧٥/٢) .

(٢) فراغ بالأصل .

وقال السُّهَيْلى فى «الروض» ذكر عن النبى ﷺ أنه قال : «لا تَسُبُّوا «إلياس» فإنه كان مؤمنا» وذكر أنه كان يسمع فى صُلْبه تلبية النبى ﷺ بالحج !

وأخرج الزبير بن بكار : «لا تسبوا مُضَرَ ، ولا ربيعةَ ، فإنهما كانا مُؤْمِنَيْن» .

وقال ابن سعد فى الطبقات : «أنا خالد بن خداش ثنا عبد الله بن وهب أخبرنى سعيد بن أبى أيوب عن عبد الله بن خالد قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا مُضَرَ فإنه كان قد أسلم» . [انظر الطبقات ١ : ٥٨] .

وقال السهيلى فى «الرّوض» : كان كعب بن لؤى أول من جمع يوم العروبة ، فكانت قريش تجتمع إليه فى هذا اليوم ، فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى ﷺ ، ويعلمهم أنه من ولده ، ويأمرهم باتباعه ، والإيمان به ، وينشد فى هذا أبياتا منها قوله :

ياليتنى شاهد فحوى دعوته   إذا قريش تبغى الحق خِذْلانا

وقد ذكر الماوردى هذا الخبر عن كعب فى كتاب «الأحكام» له . انتهى

قلت : أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة بسنده عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وفى آخره : وكان بين موت كعب ومبعث النبى ﷺ خمسمائة وستون سنة[٣] وقد سُقْت الخبر بلفظه فى أول كتاب «المعجزات» .

« فصـــــــل »

فيما يدل على أن عبد المطلب كان على الحنيفية

أخرج ابن سعد عن ابن عباس أن عبد المطلب قال لما قدم أصحاب الفيل :

لاهــم إن المــرء يمـــ   ـنع رحلــه فامـنع حلالــك
لا يغلبـــن صليبهـــم   ومحالهـم غـدواً محـالك[٤]

وأورده جماعة بلفظ :

وانصــر على آل الصليـب   وعابديــه اليــوم آلــك

هذا يدل على أنه كان على الحنيفية حيث تبرأ من الصليب وعابديه .

وفى طبقات ابن سعد : بأسانيده أن عبد المطلب قال لأم أيمن : وكانت تحضن

(١) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٨٩ ــ ٩٠ .

(٢) أخرجه ابن سعد (٩٢/١) فى الطبقات .

رسول الله ﷺ — «يابَرَكةُ لا تغفلي عن ابني ؛ فإني وجَدْتُه مع غلمانٍ قريباً من السِّدْرة وإنّ أهلَ الكتاب يقولون : إن ابني نبي هذه الأمة» [الطبقات ١ : ١١٨] .

◉ « فصــــــل »

فى بعض من تحنف فى الجاهلية

أخرج البزار والحاكم فى المستدرك وصححه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «**لا تَسُبّوا وَرَقَة ؛ فإني رأيت له جَنّة أوجَنّتَيْن**» المستدرك ٢ : ٦٠٩] .

وأخرج البزار عن جابر قال : «سألنا رسول الله ﷺ عن «زيد بن عَمْرِو بن نُفيل» فقلنا : يارسول الله ؛ إنه كان يستقبل القبلة ويقول : «ديني دينُ إبراهيمَ ، وإلهي إله إبراهيمَ . قال : «**ذاك أُمّةٌ وَحْدَه ، يُحشَر بيني وبين يَدَىْ عيسى ابن مريم**» .

وسألناه عن «ورقة بن نوفل» فقيل : يارسول الله ، كان يستقبل القبلة ، ويقول : إلهي إلهُ زيدٍ ، وديني دينُ زيدٍ . فقال : «**رأيته يمشي فى بُطْنَانِ الجنة عليه حُلّةٌ من سندسٍ**» .[انظر مجمع الزوائد ٩ : ٤١٥ — ٤١٦] .

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل ، عن ابن عباسٍ أن «قُسَّ بنَ ساعدة» كان يخطب قومه فى سوق عُكاظ فقال فى خطبته «سيعمكم حقٌّ من هذا الوجه وأشار بيده نحو مكة . قالوا له : وما هذا الحق ؟ قال : رجل من ولد لؤى بن غالب ، يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ، ونعيم لا ينفذ ، فإن دعاكم فأجيبوه ، ولو علمت أنى أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسعى إليه» [دلائل النبوة حديث ٥٥]

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن عبسة السلمى قال : «رغبت عن آلهةِ قومى فى الجاهلية ، ورأيت أنها الباطل ، يعبدون الحجارة .. الحديث» [دلائل النبوة حديث ١٩٨] .

وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلاّم قال : «لم يمت تُبّع حتى صدّق بالنبى ﷺ ، لما كان يهود يثرب يُخبرونه» وقد تقدم حديث : «لاتسبوا تُبّعاً ؛ فإنه كان قد أسلم» .

وأخرج الخرائطى فى الهواتف ، وابن عساكر فى تاريخه ، عن جامع بن حران ، أن الأوس بن حارثة كان يذكر دعوة الحق ، وبعث النبى ﷺ ، وأوصى بذلك ولده مالكا عند موته وقد سقت الخبر بتمامه فى «المعجزات» .

◉ فصـــــل

فى الدليل على أن أبوى النبى ﷺ وأجداده إلى إبراهيم كانوا على الحنيفية دين إبراهيم ولم يكونوا على ما كانت عليه العرب من عبادة الأصنام

أخرج ابن جرير فى تفسيره ، عن مجاهد فى قوله : ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبنى وبَنِىَّ أن نعبد الأصنام﴾[1] . قال : فاستجاب الله لإبراهيم دعوته فى ولده ، فلم يَعبُدْ أحدٌ من ولده صنماً بعد دعوته .

وأخرج ابن أبى حاتِم فى « تفسيره » عن سفيانَ بن عُيَيْنةَ أنه سُئِلَ : هل عَبَدَ أحدٌ من وَلَدِ إسماعيل الأصنامَ ؟ قال : لا . ألم تسمع قوله : ﴿واجنبنى وبَنِىَّ أن نعبدَ الأصنام﴾ ؟! .

واخرج ابن المنذر فى تفسيره عن ابن جريج فى قوله : ﴿رب اجعلنى مُقيم الصلاة ومن ذريتى﴾[2] قال فلن يزال من ذرية إبراهيم ﷺ ناسٌ على الفِطرة يعبدون الله .

قلت : ويمكن أن يُحملَ على ذلك قوله تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فى الساجدين﴾[3] .

فقد أخرج ابن سعد فى الطبقات ، والبزار ، والطبرانىّ ، وأبو نعيم فى « الدلائل » عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فى الساجدين﴾ . قال : « من نَبىّ إلى نَبىّ ومن نَبىّ إلى نَبِىّ حتى أخرجتُك نَبيًّا » . ففسّر « تقلُّبه فى الساجدين » : بتَنَقُّلِه فى أصلاب الأنبياء .

ويمكن أن يُحمل على أَعَمَّ منهم وهم « المصلون » الذين لم يزالوا فى ذرية إبراهيم .

ويوضحه أنه ليس فى أجداد النبى ﷺ أنبياء بكثرة ، بل إسماعيل ، وإبراهيم ، ونوح ، وشيث ، وآدم ، وإدريس . فى قَوْلٍ .

---

(١) إبراهيم : ٣٥ . وتفسير الآية رواه ابن جرير فى تفسيره (١٥١/١٣) .

(٢) إبراهيم : ٤٠ . وأخرج ابن المنذر تفسير الآية كما فى الدر المنثور (٨٦/٤) .

(٣) الشعراء : ٢١٩ : انظر مجمع الزوائد (٨٦/٧) ، وأبو نعيم فى دلائل النبوة حديث رقم ١٧ ، وابن سعد فى الطبقات (٢٥/١) .

◉ فصل
في ذكر دليل آخر
على أن آباءه ﷺ وأجداده كانوا على الحنيفية

ومما يدل على ذلك أيضا قوله عليه السلام : «بعثت من خير قرونِ بنى آدم قَرنًا فقرنًا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه» أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «**إن الله اصطفى من وَلَد إبراهيم إسماعيلَ ، واصطفى من ولد إسماعيلَ بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم**»[1]. أخرجه مسلم من حديث واثلة .

فالخيريَّة ، والاصطفاء تُشْعر بالإسلام . وطريقة أخرى فى الاستدلال :

أخرج الإمام أحمد فى الزهد والخلال فى «كرامات الأولياء» بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال : «**ما خلَتِ الأرضُ مِنْ بعد نوح من سبعةٍ يدفع الله بهم عن أهل الأرض**» .

وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن شهر بن حوشب قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده .

وأخرج أحمد فى الزهد عن كعب قال : «لم يزل بعد نوح فى الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب» .

وأخرج الخلال فى «كرامات الأولياء» عن «زاذان» قال : «ما خلت الأرض بعد نوح من اثنى عشر فصاعدا إلا يدفع الله بهم عن أهل الأرض» .

هذه الآثار ، مع أثر ابن جريج السابق : فى أنه ما زال من ذرية إبراهيم ناسٌ على الفطرة ، يعبدون الله تدل على أن أجداد النبى ﷺ كانوا على الحنيفية دين إبراهيم وبيان ذلك أنهم لو كانوا على الكفر فلا يخلو إما أن يكون الذين على الفطرة ، والذين يدفع بهم غيرهم أو لا يكون أحد كذلك .

والثانى باطل ؛ لأنه خلاف الوارد من هذه الآثار الصحيحة ، والأول باطل أيضا ؛ لأنه يلزم عليه أن يكون غيرهم خيرا منهم ؛ إذ لا يكون كافر خيرا من مسلم .

---
(١) انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم (١) . والترمذى كتاب المناقب (٩٤/١٣)

وهذا اللازم باطل لمخالفته لحديث البخارى المُصَدّرِ به هذا الفصل ، وهو : «أنه بعث من خير قرون بنى آدم قرناً فقَرْنًا إلى القرن الذى كان فيه» .

فهذا يدل على أن كل أصل من أصوله خير قرنه ، ولا يكون كذلك وهو كافر وفى قرنه مسلم ، فتعين أن يكون مسلما .

والأحاديث متواترة بمعنى حديث البخارى .

وأخرج البيهقى فى دلائل النبوة عن أنس أن النبى ﷺ قال : **«ما افترق الناسُ فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرِهما ما خرجت من بين أبوى فلم يصيبنى شىء من أغهر الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى فأنا خيركم نفساً وخيركم أبا»** [دلائل النبوة ١ : ١٧٤] .

وأخرج أبو نعيم فى دلائل النبوة من طرق عن ابن عباسْ قال : قال رسول الله ﷺ : **«لم يلتق أبواى قط فى سفاح لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة صافياً مُهَذّباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما»**[حديث ١٥]

وأخرج ابن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : **«خير العرب مُضَرُ ، وخير مُضَرٍ بَنُو عبدِ مَنَافٍ ، وخير بنى عبد مناف بنو هاشم ، وخير بنى هاشم بنو عبد المطلب ، والله ما افترق فرقتان مُنذُ خلق الله آدمَ إلا كنت فى خيرهما»** .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة . وقد أوردتها فى أول «كتاب المعجزات» وأخرج ابن أبى عمر العدنى فى مسنده عن ابن عباس : «أن قريشا كانت نوراً بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفى عام يُسَبّح ذلك النور وتُسَبّح الملائكة بتسبيحه . فلما خلق الله آدم ، ألقى ذلك النور فى صُلْبه» .

قال رسول الله ﷺ : **«فأهبطنى اللهُ إلى الأرضِ فى صُلْبِ آدمَ ، وجعلنى فى صُلْبِ نُوح ، وقذف بى فى صُلْبِ إبراهيمَ ، ثم لم يَزل اللهُ تعالى يَنْقُلُنى من الأصلابِ الكريمة ، والأرحام الطاهرة ، حتى أخرجنى من بين أبَوَىّ لم يلتقيا على سفاحٍ قط !»** .

وأخرج البيهقى فى الدلائل [١٧٦/١] و «الطبرانى» فى الأوسط ، عن عائشة **قالت : قال رسول الله ﷺ : قال لى جبريل : «قلّبت الأرض مشارقَها ومغاربَها فلم أجد رجُلاً أفضلَ من محمدٍ ، ولم أجد بنى أبٍ أفضلَ من بنى هاشم»** .

قال الحافظ بن حجر فى أماليه بعد أن أورد هذا الحديث : «لوائح الصِّحَّةِ ظاهرةٌ على صفحاتِ هذا المَتْن» .

فصــــــل

ما قيل فى الصِّدِّيق يصلح دليلا لنا فى أبوى النبى ﷺ

قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى إمام أهل السنة : «وأبو بكر مازال بعين الرضى منه» فاختلف الناس فى مراده بهذا الكلام .

فقال بعضهم : إن الأشعرى يقول : إن أبا بكر الصديق كان مؤمناً قبل البعثة» .

وقال آخرون : بل أراد : أنه لم يزل بحالةٍ غير مغضوب فيها عليه ؛ لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ، ويصير من خلاصة الأبرار .

قال الشيخ تقى الدين السبكى : لو كان هذا مرادَه لاستوى الصِّديق وسائر الصحابة فى ذلك .

وهذه العبارة التى قالها الأشعرى فى حَقِّ الصِّديق لم يحفظ عنه فى حق غيره .

فالصواب أن يقال : إن الصديق لم يثبت عنه حالة كفر بالله ، فلعل حاله قبل البعث ، كحال زيد بن عمرو بن نُفَيل وأقرانِه ؛ فلهذا خصص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة «انتهى» .

قلت : وهذا الذى قاله السُّبكى فى الصِّدِّيق نقوله : نحن فى أبوى النبى ﷺ وأجداده ، مع أن الصديق وزيدَ بن عَمْرو بن نُفيل إنما حصل لهما التحنف فى الجاهلية ببركة النبى ﷺ فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة وكانا يَوَدَّانِه كثيراً .

« فصــــــل »

فى من نُصَّ على إسلامه من أجداد النبى ﷺ صريحاً

أخرج «ابن حبيب» فى تاريخه عن ابن عباس قال : «كان عدنان ، ومَعَدّ ، وربيعة ، ومُضَر ، وخزيمة ، وأسد على مِلّةِ إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير» .

وأخرج البيهقى وأبو نعيم كلاهما فى «الدلائل» من طريق الشعبى عن شيخ من جُهينة «أن عُمَيْرَ بن حبيب الجهنى ترك الشرك فى الجاهلية، وصلى لله، وعاش حتى أدرك الإسلام». وسقت الخبر أيضا بتمامه فى «المعجزات».

وأخرج الطبرانى فى الكبير بسند رجالُه ثِقاتٌ، عن غالب بن الحر قال: ذكرت قُسًّا عند رسول الله ﷺ فقال: **«رحم الله قُسًّا! قيل: يارسول الله، تَرَحَّمُ على قُسٍّ؟! قال: نعم. إنه كان على دين أبينا إسماعيل بن إبراهيم».**

◉ «فصـــــل»

فى بيان حال العرب كما ذكره الشهرستانى

قال الشهرستانى فى الملل والنحل كانت العرب على قسمين: مُعَطِّلة، ومُحَصِّلَةٌ.

فالمعطِّلة أصناف.

منهم من أنكر الخالق، والبعث، والإعادة وقالوا بالطبع المحيى، والدهر المفنى، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله: **﴿قال من يُحيى العظامَ وهى رميم﴾**؟

ومنهم من أقر بالخالق والابتداء، ونوع من العادة، وأنكر الرسل، وعبد الأصنام وزعم أنها شافعة له عند الله فى الآخرة. وهم الدهماء من العرب إلا شِرْذمة منهم.

أما المحَصِّلة: فكانوا على ثلاثة أنواع من العلوم: علم الأنساب، والتواريخ، والأديان، ويعدونه نوعا شريفا، خصوصاً معرفة أنساب أجداد الرسول ﷺ، والاطلاع على ذلك النور الوارد من صُلب إبراهيم إلى إسماعيل وتواصُله فى ذريته، إلى أن ظهر بعض الظهور فى أسارير عبد المطلب، وببركة ذلك النور أُلهِمَ النَّذرَ فى ذَبح ولده، ولبركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغى، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيّات الأمور.

وببركته: قال لأبرهة: إن لهذا البيت ربّاً يحفظه وفيه قال: وقد صعد أبا قبيس:

لا هـــم إن المـــرء يمـــ ـــنع رحلـــه فامـــنع حلالـــك

لا يغلبـــن صليبهـــم ومحالهـــم عـــدوا مـــحالك

وببركة ذلك النور: كان يقول فى وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظَلُومٌ حتى يُنْتَقَمَ منه، ويصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم لم تُصِبْه عقوبة! فقيل لعبد

المطلب فى ذلك ، ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويُعاقب فيها المسىء بإساءته .

ما يدل على إثباته المعاد :

ومما يدل على إثباته «المعاد» و «المبدأ» أنه كان يضرب . بالقِداح على عبد الله ابنه ويقول : يارب أنت الملك المحمود ، وأنت ربى الملك المعيد ، من عندك الطارفُ والتليد .

مايدل على معرفته بحالة الرسالة ، وشرف النبوة :

ومما يدل على معرفته بحالة الرسالة والنبوة ، وشرف النبوة : أن أهل مكة لما أصابهم مادل عليه ذلك الحديث . أمروا أبا طالب أن يحضر بالنبى ﷺ وهو صغير فاستبقى به وأفشى ذلك أبو طالب بقوله :

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ثِمال اليتامى عِصْمةٌ للأرامل

والنوع الثانى من العلم علم «الرؤيا»

والثالث علم «الأنواء» وهو علم الكهنة .

ومن العرب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع ، فمن كان يعتقد الدين الحنيفىّ : زيد بن عمرو بن نفيل ، وقُسّ بن ساعدة الإيادى ، وعامر بن الظَّرِب العَدوانى .

وممن كان قد حرم الخمر فى الجاهلية : قيس بن عاصم التميمى ، وصفوان بن أمية الكنانىّ ، وعفيف بن معدى كرب الكِندى .

وممن كان يؤمن بالخالق وبخلق آدم : عبيد الطالحة بن الثعلب بن ديرة بن قضاعة ، ومنهم زهير بن أبى سُلمى وكان يمر بالعَصاةِ وقد أورقت بعد يُبْسٍ فيقول : «لولا أن تسبنى العرب لآمنت أن الذى أحياك بعد يُبْسٍ سيُحيى العِظامَ وهى رَميم» .

ثم آمن بالبعث بعد ذلك وقال فى قصيدته المشهورة :

يُؤَخر فيُوضَع فى كتابٍ فيُدّخرْ ليومِ الحسابِ أو يُعَجّل فيُنْقَمِ

وكان بعض العرب إذا حضره الموت يقول لولده : «ادفنوا معى راحلتى ؛ حتى أُحشر عليها ؛ فإن لم تفعلوا حُشِرتُ على رجلىّ» .

وكانوا فى الجاهلية يحرمون أشياء نزل القرآن بتحريمها : كنكاح الأمّهات ، والبنات ، والخالات ، والعمات وكانوا يطوفون ويَسْعَوْن ويُلَبُّون ، ويقفون المواقف كلّها ، ويُهدون الهدايا ، ويرمون الجِمار ، ويُحَرِّمُون الأشهرَ الحُرُم ، ويغتسلون من الجنابة ، ويُغَسّلون موتاهم ، ويكفنونهم .

وكانوا يداومون على طهارات الفِطرة العشرة التى ابْتُلِىَ بها إبراهيم ، ويُوفون بالعقود ، ويُكرِمون الضيّف ، ويقطعون يدَ السارق ، وكان دين إبراهيم قائماً ، والتوحيد شائعاً فى صدر العرب ، فلول من غيره ووضع عبادة الأصنام عرون لحى «هذا كله كلام الشهرستانى» .

وقال ابن الجوزى فى «التلقيح» تسمية من رفض عبادة الأصنام فى الجاهلية : أبو بكر الصديق ، زيد بن عمرو بن نفيل ، عبد الله بن جحش ، عثمان بن الحويرث ، ورقة بن نوفل ، رباب بن البراء ، أسعد أبو كرب الحميرى ، قس بن ساعدة الإيادى ، أبو قيس بن صرمة [رأيت بآخر نسخة المصنّف بغير خطه ما مثاله] .

« فصـــــــــل »

فى قول الفخر الرازى بأنهم كانوا على التوحيد

ثم رأيت الإمام الرازى فخر الدين جنح إلى ما جنحت إليه من أن آباء النبى ﷺ كانوا كلهم على التوحيد ، فقال فى كتابه «أسرار التنزيل» ما نصه قيل : إن آزر لم يكن والدَ إبراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه :

منها : أن آباء الأنبياء ماكانوا كفاراً .

ويدل عليه وجوه .

منها قوله تعالى : ﴿**الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين**﴾ [٢١٨ ، ٢١٩/ الشعراء]

قيل : معناه أنه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد ، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد ﷺ كانوا مسلمين ، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ، ما كان من الكافرين ، أقصى مافى الباب أن يُحمل قوله تعالى : ﴿**وتقلبك فى الساجدين**﴾ على وجوه أخرى .

وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينهما وجب حمل الآية على الكل ، ومتى صح ذلك ، ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان .

ومما يدل على أن آباء محمد ﷺ ماكانوا مشركين قوله عليه السلام : **«لم أزل أنقَلُ من أصلابِ الطاهرين إلى أرحامِ الطاهرات»** وقال تعالى **﴿إنما المشركون نجس﴾** [٢٨/ التوبة] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا . «هذا كلام الإمام بحروفه» والله أعلم .

وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما
دائماً
أبداً



كلمة وفاء وإنصاف !!

تقول المصادر الأدبية والتاريخية :

إن الإمام السيوطى أَلَّفَ مقامة سَمّاهَا :

« المقامة السُّنْدُسية فى النسبة المصطفوية »

وهى فى الواقع « رسالة » « لا مقامة » بالمعنى المفهوم من المقامات وموضوعها : التدليل على نجاة والدى النبى ﷺ من النار مع إيراد أقوال العلماء فى إثبات ذلك ، وتزييف أقوال من خالفهم !

وقد ألف السيوطى نحو « ست رسائل » فى هذا الموضوع . ولا حاجة بنا إلى أن نذكر غيرةَ السيوطى على النبى ﷺ ، وعلى آل بيته الأطهار ، ومبلغ شغفه بأن يكون أبواه الكريمان ناجيين من النار !

« وإن السيوطى لمولع بإثبات هذه النجاة للناس حُباً فى المصطفى ﷺ ، ولم يكتب ذلك فى رسالة واحدة ، وإنما فى جملة رسائل ، طورا بالقلم الأدبى ، وآناً بالأسلوب العلمى ليملك على القلوب أقطارها ، وعلى العقول أوطارها* ! »

رحم الله إمامنا ، وجزاه عن حبه لنبينا ﷺ خير الجزاء .

(*) صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٧
مخطوطة الكتاب	٩
جلال الدين السيوطى	١٠
بين يدى الكتاب	١٤
من كتاب كشف الخفاء ومزيل الالتباس للعجلونى	١٥
مقدمة الكتاب	٢٣

القسم الأول

الأدلة على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار بل هى موحدة	٢٥
رأى الإمام السيوطى	٣٠
الفوائد الكامنة فى هذا الحديث	٣٣
رأى السيوطى فيما قاله القرطبى	٣٥
رأى السيوطى فيما قاله ابن دحية	٣٦
رأى العلامة ابن حجر وهو إمام الحفاظ	٣٨
ترجمة على بن أحمد	٤٢

دراسة علمية لحديث الزيارة

فصل : فى حديث الزيارة	٤٩
الدليل الثانى على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار	٥٢
فصل : الدليل على أنها ماتت وهى موحدة	٥٤
فصل : تساؤلات ..... والإجابة عنها !!	٥٧
فصل : تأملات فى أمهات الأنبياء	٥٩
فصل : الدليل الثالث على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار	٦١

فصل : الدليل الرابع على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار .. ٦١
فصل : الدليل الخامس على أن أم النبى ﷺ ليست فى النار ٦٢

القسم الثانى

التعظيم والمنة فى أن أبوى النبى ﷺ فى الجنة ٦٣
فصل : بين يدى الآية الكريمة .. ٦٧
فصل : فى نقل مذهب أهل السنة : فيمن مات قبل الدعوة .. ٦٩
فصل : فى شكر المنعم . ٧٠
فصل : فى تساؤلات حول حكم أهل الفترة !!
ودفع ما وقع فى شرح مسلم .. ٧٢
مزيد بيان ٧٤
تنبيه ما ينبغى أن يفهم من قول النووى فى
شرح مسلم لحديث السائل عن أبيه !! .. ٧٦
فصل : فى بيان ماوُجّه إلى حديث «إن أبى وأباك فى النار»
من حيث السند والمتن ٧٧
تنبيه : موتهما فى سن الشباب ٨١
فصل : فى بعض من تحنف فى الجاهلية ٨٣
فصل : فى الدليل على أن أبوى النبى ﷺ وأجداده إلى
إبراهيم كانوا على الحنيفية دين إبراهيم ٨٤
فصل : فى ذكر دليل آخر على أن آباءه ﷺ وأجداده
كانوا على الحنيفية .. ٨٥
فصل : فى من نُصَّ على إسلامه من أجداد النبى ﷺ صريحاً . ٨٧
فصل : فى بيان حال العرب كما ذكره الشهرستانى ٨٨
فصل : فى قول الفخر الرازى بأنهم كانوا على التوحيد ٩٠

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١



١٥٠ قرشا